

روایات عبیر



آٹ ہامیسٹون

الشاعر



الشار

الشار عادة متأصلة في امكنة كثيرة من العالم . وللشار تقاليد لا يفهمها سوى الذين ولدوا وعاشوا في المجتمعات المغلقة التي تعطي اهمية كبيرة للتقاليد منها تنافست مع التطور... والمنطق .

وتوني التي وجدت نفسها في جزيرة كريت ذات يوم وخنجر الشار مسلط على عنقها، لم تسلم . لم تصبغ الضحية . بل قاومت حتى انقذها داروس حفيد العجوز الحامل خنجر الشار... ولم يكن هناك سوى حل واحد : ان تتزوج داروس فلا تسري عليها تقاليد الشار... عندئذ قررت هي ان تشار . على طريقتها الانكليزية الباردة ... فهل تستطيع ؟ وهل يكون الحب باب الخروج الوحيد من هذا المأزق ؟

١ - خنجر في كريت

جلست . توني فرعان الى طاولتها المعتادة في ملهى تافيرنا تنتظر الى الراقصين وتنتظر تقديم الغداء وفيما عدا اندرولا التي كانت تساعد والدعا على إدارة المطعم - كانت توني المرأة الوحيدة هناك.

وعادت الذاكرة بها الى الماضي... وتذكرت صديقتها منذ عامين حين كانتا تقضيان عطلة في اليونان تقول : إني أكره الجلوس في مثل هذه المقاهي... ألح على وجه كل رجل علامات الرجاء والرغبة.

يومها ضحكت توني وهي تسمع صديقتها تضيف: إذا كان هؤلاء الرجال يودون فعلاً إمتاع عيونهم بجمال المرأة فلماذا لا يصطحبون زوجاتهم معهم؟

وبعد ذلك بعام واحد اشتاقت توني الى زيارة اليونان مرة ثانية، وكانت قد تقدمت بطلب للحصول على وظيفة في كريت حيث يقيم عمها - الذي تزوج بفتاة يونانية بعد الحرب - واستقر هناك... وكان صاحب الفندق الذي تعمل فيه يحاول دائماً إغواءها والخروج معها، الا أنه من حسن حظها انها وجدت بعد فترة قصيرة في صاحب شركة سياحية رجلاً أقل ميلاً الى الغزل... وكان هذا العمل الجديد فرصة مناسبة لتستغل اللغتين اللتين تعرفهما جيداً الانكليزية واليونانية.

وقد ألقت توني الآن الرجال الذين يترددون على مقهى بانلوس والذين كانوا يشربونها دائماً في مناقشاتهم بعدما سررتهم معرفتها بلغتهم.

وبمجرد أن ظهرت اندرولا تحمل غداء توني - جلس شاب كريتي الى مائدتها فردت عليه تحيته وهي تبسم.

وقال ملاحظاً:

«سك البريوني يبدو طيباً - أعتقد أنني سأختار الغداء منه...»
ووضع الشاب جريدته على المائدة وكانت تحمل عنواناً كبيراً لقتل توني... واتطرق الشاب الكريتي يقول في لامبالاة:
«لقد شاهدت هذا الحادث...»

واتسعت عينها في فرع وهي تقول:
«أرايته فعلاً... ياله من حادث مروّع»

«كان الحادث أخذاً بالثأر - لقد دخل الرجل الى المقهى الذي كنت جالساً فيه وألعد السكين في ظهر الشاب... وانتهى الأمر كله في ثوان»

وارتعدت فرائص توني. كانت قد أصيبت بالذهول عندما سمعت لأول مرة بحادث ثأر. ودعت كيف تستمر مثل هذه العادة الوحشية في بلد كالليونان لكن هذه العادة بقيت فقط في ماتي. وكريت... ورغم ان القضية المستشارين مصممون على قمعها الا أنه يتعين عليهم ان يتصرفوا بحذر شديد عند معالجة مثل هذه العادة القديمة الراسخة. ومع ذلك فان هناك أحكاماً تصدر الآن بينما جاء وقت كانت فيه عملية الأخذ بالثأر مقبولة وكان القتل يطلق سراحهم.

والتفت عينها بسرعة السطور التي تلت عنوان الصحيفة وقرأت: علم غلافكوس أخيراً أنه منذ عشرين عاماً كان جد الشاب قد قتل أحد أقاربه... وعندئذ صمم غلافكوس على الانتقام. لأنه حسب العادة لا بد أن تسيل الدماء.

ودمعت توني:

«إن ما يحدث ليس فيه شيء من المدنية بأساس. فلماذا تهبون على هذه العادة؟»

وهز كتفيه قائلاً:

«إن كثيرين منا لا يعتقدون أن ذلك صواب... لكنه من سوء الحظ أن هناك أيضاً من يؤمنون بأخذ الثأر... وخاصة المسنين الذين لا يزالون يتمسكون بالتقاليد. ولذلك فإن هذه العادة ما زالت قوية في كثير من القرى»

«لا أصدق أن مثل هذه العادة لا يمكن رفضها فوراً. إن اليونان برغم كل شيء هي

البلد الذي يرتبط في ذهن المرء بدهايات المدنية الغربية ومع ذلك فإن هذه العادة بدائية تماماً.

وصفق سافاس يديه كما يفعل كل اليوناني محاولاً لفت نظر أندرولا. كانت تحاول أخذ طليين مرة واحدة ومالت برأسها في حركة اعتذار لأنها جعلت سافاس ينتظر وأضاف سافاس:

«من الواضح أنها أتر من آثار الوثنية... ربما كنا على قدر كبير من المدنية والثقافة. ولكن لا ننسى أننا كنا نعيد الأوثان...»

وقطبت توني جبينها وهي لا تزال غير قادرة على تقبل أن هناك رجلاً يمكن أن ينظر الى القتل على اعتبار أنه واجب. وتطلعت الى الرافعين الذين هم كانوا يؤتون رقصة الهندوزايس. وهي رقصة الحرب. كان يؤدها في الأصل العسكريون. وأخذت ترتب الرافعين مبهورة. فلا شك أن هناك مناسبات تنكشف فيها وثنية اليونان القديمة.

وضحك سافاس من تعبيرات وجهها. وقال:

«مثل هذا الوجه الجميل ينبغي ألا ينتجهم أبداً»

ولم تعأ توني بهذا الاطراء. فلم تقابل أبداً يونانياً لا يتقن الغزل والمداخلة.

وقالت وهي تسك بقطعة السمك في صحنها:

«أفكاري هي التي تجعلني مكتئبة... ولو كنت قاضية هنا. لأصدرت أحكاماً طويلة جداً بالسجن. إن هذه هي الطريقة الوحيدة للقضاء على عادة الثأر الرهيبة.

«ولكن لماذا يحكم على شخص بعقوبة صارمة بالسجن عندما تكون أسرته هي التي أرسلته لتنفيذ القتل؟ وعندما يكون هو على يقين أنه ينفذ واجبه»

واعترفت توني في تردد بعد تفكير

«أفهم هذا الى حد ما. لكنه واضح أن هذه العادة يجب أن يقضى عليها»

«سيضي وقت طويل. الا تعرفين أن هناك من يعتقد بضرورة تنفيذ الانتقام حتى لو كان القتل قد حدث بدون عمد...»

ونظرت اليه في استنكار وهي تقول:

«لا بد أنهم متعصبون إذن»

ورد سافلس :

«من يعتقد في مثل هذه العادة لابد أن يكون متعصباً»

كانت توني لاتزال تفكر فيما قاله سافلس وهي تغادر المقهى ولم تكن تدري أنها ستكون بعد قليل متورطة في عادة الأخذ بالثر البغائية في كريت... بعد ثلاثة أسابيع على ذلك، اقترب منها رجل - اثر اغلاقها المتجر الذي تعمل فيه وانجحت الى سيارتها - وطلب منها أن تنقله الى منزله وهي في طريق عودتها، كان يونانياً، وبعد أن استفسرت منه عن وجهته، ابسمت له وفتح باب سيارتها، وبرغم أنه كان عليها أن تخرج عن عاداتها وافقت على اصطحابه معها لأنه كان رجلاً مسناً جداً...

وسألها:

«هل تعملين في وكالة بشرو السياحية»

وابسمت وهي تقول:

«نعم»

حتى في مدينة هيراكليون الكبيرة كان كل شخص يتدخل في شؤون غيره.

وسألها:

«هل تعجبك هذه الجزيرة؟»

«تعجبني جداً في الواقع»

«حفيدتي يعيش في رودوس، إنها جزيرة جميلة أيضاً، هل ذهبت الى هناك»

وهذأت توني بسرعة سيارتها عند إشارة المرور. ثم عادت إلى السرعة

وسألت الكهل قائلة:

«كلا... ولكن هل تقيم في هيراكليون بصقة دائمة»

وأخذت تنطلق الى الرداء الوطني الذي يلبسه الشباب هنا لا يرتدون أبداً هذا الزي هذه الأيام. للسنيين من الرجال يعتبرونه أكثر راحة من البطلونات.

«انا اسكن في قرية بعيدة عن هنا بعيدة جداً، يمكن أن تلوي إليها معزولة تماماً عن المدينة»

«هل تعجبك الإقامة في هيراكليون؟»

«اعتدت عليها الآن»

واستمر الحديث بينها حول هذه الموضوعات العابرة الى أن وصلا الى البيت الصغير المكعب الشكل.

«ألا تتاولين مشروباً متعشاً معي؟»

هذا السؤال توقعته توني وقبلت الدعوة برغم العمل الكثير وكتابة الرسائل التي تنتظرها. لكن كرم الضيافة اليوناني الذي يتسم بالتلقائية والاخلاص لا يجيب رفضه أبداً. فقالت:

«أشكرك جداً، هل وقفة السيارة هنا مناسبة؟»

«تقدمي بها مسافة أخرى إلى الأمام ثم أطفئي أضواءها، وتقدميها وهما يصعدان السلم، وفتح الباب، وطلب اليها أن تدخل إلى غرفة الجلوس حتى يفرغ من إعداد المشروبات وقالت توني وهي تتجول في الغرفة:

«أنت تعيش بملوك هنا»

«هلدي قداماً، تولفت زوجتي، وتزوج كل أبنائي»

وجالت بصورها أرجاء الغرفة، إنه الأثاث الثقيل المعتاد والتحف القديمة، والأيقونات المعلقة في الجدران، والتطريز على الكراسي. ووقع نظرها على الجدار ورأت أثراً لشيء أزيل ثم انتقلت نظرتها إلى المائدة وإلى المختبر الموضوع هناك. كان منظره كرهياً برغم أنه موضوع في غمده، وكان العيبوس يبدو على وجهها عندما دخل الرجل المسن أخيراً وهو يحمل صينية... وعندما مدت يدها لتأخذ فنجاناً صغيراً من القهوة التركية، أزاح جانباً وأعطاها الفنجان الآخر وأوضح لها بسرعة:

«هذا الفنجان قليل السكر، والانكليز لا يحبون السكر الكثير»

وتبتهت توني إلى الموقف فجأة بعدما لاحظت نأراً تتوهج في عيني الرجل. كان شيئاً غريباً، لكنها لم تستشعر مثل هذا الخوف من قبل وهي في صيغة يوناني حتى ولو كان شاباً. الا أنها أحست بالقلق مع هذا الرجل المسن، وإن لم يكن شعوراً بالخوف فهو على الأقل شعوراً لا يبعث على الراحة.

«ألا تجلسين؟ اشربي قهوتك» واقترب منها، كان طويلاً نحيلاً وشفتاه مزموختان، ورفع الفنجان الى شفتيها وقال:

«اشربي قهوتك»

لكنها أعادت الفجنان إلى الصينية.

«لا اعتقد أنني سوف أبقي هنا».

قالت هذا يبدو، ونهضت واتجهت إلى الباب.

وقال الرجل إنه موحد.

واستدارت يده ونظرت إليه، اصداقاً، توني في بلعها يعرفون عنها أنها لا تخشى شيئاً. وتستطيع مواجهة أي موقف. فقد كانت تتحدو من سلامة عسكريين مقاتلين شجعان حصلوا على أوسمة، وكانت سمات هذه الشجاعة المتأصلة تبدو على كل سمات وجهها الجميل. وانعكست على نظرتها الثابتة وعلى نبرات صوتها الهادئة وهي تقول له:

«لا أعرف ما توي عمله. ولكنني أؤكد لك أنني أستطيع حماية نفسي. افتح الباب من فضلك».

وسادت فترة من الصمت ثم قال الرجل برفقة:

«سوف أفتلك».

ثم رأت فترة صمت أخرى، وبصورة آلية ألحظت توني إلى المائدة وقالت: «عليك أن توضح ذلك. إنك حتى لا تعرفني».

ولم يكن يبدو في نبرات توني الهادئة أي بادرة خوف، كان الرجل مسناً جداً، ولم يخطر في بالها أبداً أنه يستطيع أن يتغلب عليها بقوة.

وقال الرجل:

«أعتقد أنك أفتت في هذه الجزيرة أكثر من عام».

كان الرجل يلف قريباً من المقعد حيث كانت تجلس قبل أن تهبط واقفة ومتجهة إلى الباب وبدأت يدها تنقلصان وتتحركان.

وقالت توني:

«هذا صحيح».

«ولا بد أنك سمعت عن الأخذ بالتأثر إذنه».

«بكل تأكيد سمعت عنه... ولكن هل يعني ذلك في شيء؟ يبدو أنك ارتكبت خطأ... لا بد أنك اخترت شخصاً غير الذي تقصده».

«اسمك انطونيا فرميان».

وردت في حيرة ودهشة.

«نعم لكنك لا تعرفني... وأنا واثقة جداً أنني لا أعرفك».

وأخذت تنقرس في ملامحه.

«كان شقيقك هنا يضي عطلة منذ شهرين... أليس كذلك؟»

وشحب وجهها قليلاً، وتذكرت ما قاله لها سافاس. ثم رفعت خصلات شعرها عن جبهتها المبتلة بالعرق. وقالت:

«نعم حضر ليزورني».

«لقد قتل شقيقتي العجوز المشلول».

«كانت مجرد حادثة، ولم يكن قتلاً متعمداً، وقد برأته محكمتكم هنا في دقائق».

«صحيح برأته المحكمة، ولكنني لم أحكم أنا ببرأته، لقد كان يسود سيارته بإهمال، لأنني لا أستطيع الذهاب إلى انكلترا لفتله. فيجب أن أفتلك أنت بدلاً منه، إنه واجبي طبقاً لعادة الأخذ بالتأثر. أن نسل دم القاتل أو أحد أفراد عائلته».

وهكذا واجهت توني أحد المتعصين من تحدثت عنهم مع سافاس. كان واضحاً أن عقلية الرجل متخلفة. وقالت توني بأسف حقيقي:

«اعترف أن حظ شقيقك كان سيئاً... سيئاً للغاية حقاً، ولكن تذكر أنها نزلت إلى شارع مظلم تماماً بدون إعطاء أي تحذير، ونظراً لأنها كانت ترتدي الملابس السوداء فإن شقيقي لم يرها».

«إننا نسير دائماً في الشارع... ونساون دائماً متشحات بالسواد. خاصة المسنات منهن كما تعرفين».

«ولكن شقيقي لم يكن يعرف ذلك، وكيف له أن يعرف؟ كان قد وصل منذ فترة قليلة».

واستطردت تقول في نبرات رقيقة: «صدقني ورغم تيرته إلا أنه مازال يشعر بالذنب، وفي كل رسالة لي مازال يشعر بالأسف لأنه جاء إلى الجزيرة. كما أن والدي ووالدتي لا يزالان يعانيان من اضطراب معنوي شديد بسبب الحادث».

ودمعت عينها الحضران وهي تفكر في المأساة التي أصابت أسرتهما بسبب تصرف السيدة العجوز المشلول التي وقفت أمام سيارة شقيقها. كان اخوها وأبواها كما قالت توني لا يزالون يشعرون بالنعاسة، أما توني فلم يزعجها

يوم يدون أن تذكر فيه هذا الحادث المؤسف.

ورده الرجل :

«ولكنهم سوف يشعرون بانزعاج أكثر لوفاة ابنتهم فسوف توتين بالسكين».

وأقلت توني نظرة على فتجان القهوة الموضوع على الصينية، وبادرها بقوله:
«كنت أفضل أن أجعلك تقيين عن وعيك لأنك امرأة، لكن ذلك لاجم الآن، فلن
تناولي لفترة طويلة، لقد قتلت كثيراً من المواليد، ولم أدعها تعاني فترة أطول مما
يجب».

ولمعت عينا الرجل بالشر المتفجع وقال:

«هل تخافين؟ قلت لك الآن إنك لن تناولي طويلاً».

وانزعج الرجل المحتجر عن فوق المائدة، وكان يحاول أن يخرجها من غمده عندما
قررت هي أن تتصرف، وكادت تتفوق عليه بقوتها، ولكنه استعاد توازنه. وكانت
التواني التي أغلبت ذلك كفيفة بأن تجعل توني تعترف بأن مظهره يحدق من
بواء، فلقد يكون جسده هزماً، وعقله مختلاً، لكن عضلاته ما زالت قوية...
ونظراً لأن توني تدرك تماماً مدى رسوخ هذه العادة السادية توفعت ألا
يتراجع الرجل.

برغم أنها كانت تعلم تماماً أنها تواجه الموت.. إلا أنها أحست بالدهشة عندما
استطاعت في النهاية أن تسيطر على قوة الرجل بعد صراع كبير.
ومن خلال الموقف الذي عاشته مع هذا الصراع... صراع البطل الذي يواجه
أمراً لا يمكن تجنبه - استرجعت في تخيلاتها كل ذكرياتها مع أفراد أسرته،
وتصورت ردة كل واحد منهم على حدة عندما يعلم نياً موتها. شقيقها هيو سوف
يعاني من الشعور بالذنب طوال حياته فهو المسؤول عما حدث لها بصورة غير
مباشرة... وأمه... لن تفيق من الصدمة. وأخذت توني تذكر وهي مرهقة كيف
توصلت إليها أمها لتلا تسافر إلى الخارج وخاصة إلى الشرق، لقد حذرتها من
الأخطار الكبيرة هناك، ولكن توني ضحكت وقالت لها:

«ما هذا السخف يا أمي... وهناك بأم شقيقة توني الأمثلة وأطفالها. يلهم من
شياطين... ولكن توني لم يفهم كثيراً. ديفيد في التاسعة وروبي في
الثامنة. ولوبي في السابعة وقد ولدوا أباهم منذ أكثر من عامين. وأخيراً كان

هناك والد توني الذي تحير كثيراً. كانت رسالته الأخيرة تنير الأمل... أخيراً
أن تعجزته الراحة تواجه الانفلاس بعد فتح المتجر الكبير الذي يبيع كل شيء على
التأمية المبالغة من التلوع. كان الحل الوحيد لخلاصه من هذه الأزمة هو الشراء
بكميات ضخمة وهذا يحتاج إلى رأس مال لا يقل عن خمسة آلاف جنيه.

إلا أن تتابع ذكرياتها عن أفراد أسرتها توفت فجأة عندما تمكن الرجل من
إخراج المحتجر من غمده وإشهاره في وجهها... وثكنت توني وهي تقيض بقوة
على رصع يده من إبعاده عن قلبها، لكن قوتها تداعت بسرعة وانتهت بها مشاعر
الأسى بعدما أحست أنها لن تستطيع التغلب على رجل مشحون بالترعة إلى
القتل.

وشعرت بدوار وكادت تسقط مغشياً عليها.

وفجأة سمعت أصواتاً على الجانب الآخر من الباب، واستطاعت في محاولة
بأية أختيرة أن تدفع الرجل بقوة إلى الخلف فسقط على الأرض.

«أبي... أبي... افتح الباب ودعنا ندخل».

كانت هذه الكلمات باليونانية ولكن توني فهمتها بالطبيع.

ثم سمعت صوتاً يقول بالانكليزية هذه المرة وفي نبرة قوية امرأة:

«جيني... افتح الباب».

ولم ينتظر المتحدث، وانفتح الباب بقوة محدثاً صوتاً مفرعاً بعدما دفعه ببطءة
من الخشب وتم انتزاع المحتجر من الرجل العجوز. إلا أن أحداً من الوافدين الجدد
لم يلاحظ وجود توني التي ارتقت على أقرب كرسي لاستطيع حراكاً.
«الحمد لله وصلى في الوقت المناسب».

وانفجرت المرأة باكياً وهي تحضن بذراعيها والدتها الكهل والحمد لله أننا
حضرنا في الوقت المناسب».

«لن نسبح لك بأن تعرض نفسك لمشاكل أخرى».

واهتز رأس توني في عصبية... كان كل اهتمام المرأة منصباً على والدتها. ولم
تكن تهتم إطلاقاً لحفله... لصحتها.

وقال الرجل الكهل وهو يتخلص من قناعي ابنته:

«ماروس... كيف جئت إلى هنا... ولماذا تتدخلين؟»

كان صوت الرجل هائجاً ومرتعشاً. وأبقت توني أكثر من أي وقت مضى أنه محتفل عقلياً ترى هل يعرف أقرباء ذلك، لاشك يعرفون...

«أبلفتي والدتي بما تعتز به... وحضرت على الفور... ولكن أحداً منا لم يكن يدرك ما يحدث حتى تقابلنا مع لويس في الخارج وعرفنا منه أن السيرة الراقية لابد أنها للفنات التي تروي قتلها»

وقال الرجل لي حقاً:

«لويس...»

«عرف أنك اكتشفت مكان عمل الشقيقة... وكان هناك خمس بآنك تسوي الانتقام، لذلك اتصل فوراً بأبي»

«لويس... صديقي الذي أثق فيه»

«أنه يهتم بمصلحتك جداً مثلاً أراد أن يبعدك عن المشاكل»

كان الصوت واضحاً ومقتضباً ولكنه يتسم بالصرامة. كان الشاب يبدو وكأنه يتحدث إلى طفل مشردة واستطرد قائلاً:

«وكما تقول والدتي إن تتركك تعرض نفسك للخطر، كانت وفاة عمتي بدون عمد نتيجة لحادثة، ويجب أن ننسى كل شيء عن الانتقام»

كان الحديث باليونانية، وعرفت توني أنهم يسلمون قاماً بأنها لا تفهم لغتهم. «لم يكن من حقا أن تيلغي داروس...»

ولم يكن الرجل العجوز ينصت إلى حديث حفيده. كان صوته يرتعش في تصميم وهو يضيف:

«لابد أن أقتل الفنات. اغتال شقيقها شقيقتي. ويجب أن تسيل الدماء»

ورد داروس في نبرة هادئة متسامحة.

«لم يكن الموت اغتيالاً. نزلت عمتي بالصدفة إلى الطريق. ولم يكن أمام الشاب فرصة لاقتلاها»

وعند سماع هذا رفعت توني رأسها وتفرست في ملامح الشاب الفقه. كان التحفظ والكبرياء الواضحة تشير إلى أنه انكليزي. لاشك في هذا. ولكن نحوله الشديد والمخطوط القاسية على وجهه التي تعطي انطباعاً بأنه لئذ من حجر... كل هذا يشير إلى الصلابة والغطرسة والتزم بما لا يتسم به إلا من ينحدر من سلالة

يونانية وتصورت توني أن أباه انكليزي. وظلت جالسة في مقعدها والجميع يتجاهلون وجودها.

وأعاد داروس الحثجر إلى غمده. وقال الرجل الكهل:

«لا أهتم بتفاصيل ما تسوونه حادثة، هناك شيء بداخلي يقول يجب أن أقتل هذه الفنات»

كانت عيناه أشبه بجمرتين متوهجتين وكان تسلط فكرة القتل عليه يدفعه إلى حافة الجنون.

وسأله داروس:

«هل تذكر أنه سيجز بك في السجن»

وردت أمه:

«كلا يا داروس... لا تقل ذلك... إن هذا هو السبب في وجودنا هنا الآن... لكي نضع والدتي من مواجهة المشاكل مع البوليس»

وقال أبوها وهو يتجاهل كل ذلك:

«سوف يكون حكمنا مغلفاً... شهران سجن على الأكثر»

ورد حفيده بصوت اختفى منه الصبر والرقدة:

«لأنك سخيلاً، الاغتيال أخذاً بالتأثر وما تنوي عمله لا يمكن التساهل إزاءها. أصبحت أحكام السجن أكثر قسوة، ويمكن أن تموت وأنت في السجن»

«إنك لا تستطيع أن تخيفني. القتل من أجل الانتقام لا يعتبر جريمة»

ولأول مرة منذ ظهور الآخرين - نظر الرجل الكهل إلى توني وقال:

«سوف أقتلها... أفسدت أن أفعل ذلك. وسوف أنفذ ما تعهدت به»

وشعرت توني برجفة. كان الرجل شيطانياً. وانتقلت نظرتها إلى حفيده. لم يكن يشبهه في شيء إلا طول القامة. كان الرجل المسن فلاحاً عاش في قرية حيث يؤمن الناس بالتأثر.

أما داروس الحفيد فكان على العكس شاباً متعلماً، مثقفاً والدته أيضاً كانت مختلفة جداً هي الأخرى عن والدها. كان واضحاً أن الحظ أسعدها فتركت فرقتها وتزوجت رجلاً انكليزياً.

ونظر داروس إلى توني، وفكرت... قد يكون هو أيضاً بلا رحمة. إن وجهه

لا يجعل أي تعبير عن الاهتمام بالتجربة الصعبة التي مرّت بها وكما فعلت أمه
كان اهتمامه الأول منصّباً على الرجل الكهل ومشكلة إبعاده عن السجن. ولحدوث
توني في نهاية الأمر وقالت بيرة حادة:

«لشكركما جداً لانتقائي من هذا الرجل الجنون»

ونظر داروس إليها في شيء من المفطرة. وقال بيرو:

«ربما تريدان مغادرة المكان، إن لك الحرية في ذلك عندما تريدين»

وأهلت توني وحدثت نفسها قائلة بدون اعتذار وبدون كلمة عطف واحدة
على ما عانت منه. يلها من أسرة مضيفة.

وردت عليه قائلة:

«شكركم سأكون أكثر من سعيدة عندما أجد نفسي في الخارج، في الهواء الطلق»

لكنها بعدما نهضت والقلة - جلست فجأة على الفور مرة أخرى. كانت ساقها
لا تقويان على حملها. وأهدى داروس ووالدته الدهشة إزاء هذا التصرف.

ولكن أحداً منها لم يستفسر عن السبب الذي جعلها تغير رأيها.

وصرخ الرجل الكهل وهو ينظر إلى حفيد في غضب:

«إني أعترم قتلها، وإن أستريح حتى أقوم بواجبي»

«أي... يجب ألا تفعل ذلك... أرجو أن تهدأ وحاول أن تتعقل. أوضح لك
داروس يا عزيزي أن موت شقيقك لا علاقة له بأخذ الثأر»

«إن أحداً منك لا يستطيع منعي من ذلك. أضعتنا وقتكما بالمحضور إلى هنا»

وأصغت توني النظر في وجهه مرة أخرى. وشعرت بشيء من التفريز رغماً
عنها عندما أصحت بالتصميم بلاياً عليه. وكان داروس قلقاً أيضاً. وفجأة

قال:

«أنته فريمان، اسم شقيقك فريمان، أنته فريمان، يجب أن تغادري
كريت فوراً»

وصغقت توني لهذه الأوامر الجالسة، وحدثت فيه. واستمر داروس في
حديثه:

«إنك لانتهمين اليونانية، وألا لكنت قدزرت خطورة الموقف، أصيب جدي
باضطراب شديد بسبب وفاة شقيقته، ومن الواضح أنه لن يتسأل أبداً إزاء هذه

السائلة. ولذلك من الملح جداً أن تتركي هذه الجزيرة في الحال»

وردت توني وهي في حالة احتياج شديد، متجاهلة ملاحظته عن عدم
فهمها لليونانية:

«أفئتي ألا يكون ذلك ممكناً. لقد جددت أخيراً تصريح عملي هنا، ووقعت عقداً
جديداً لمدة ستة أشهر مع صاحب العمل»

«من هو صاحب العمل؟»

«وعندما أبلغته قال:

«اتركي كل شيء لي... وسوف أحصل على استغناء منه في الصباح وبمكثك
مغادرة الجزيرة مساء اليوم... لأعرف إن كانت هناك طائرة أم لا. ولكن هناك

كثير من القوارب العابرة إلى التير»

«وكاد الحق أن يخطئها عندما رفعت رأسها ونظرت إليه قائلة بالمفطرة التي
بدت على وجهه:

«هل تتوقع مني فعلاً أن أترك وظيفتي. وأن أغادر الجزيرة خلال ساعات؟»

«ورده عليها وقد نقد صبره:

«لو أنك فهمت ماأقوله جدي لما ترددت في ذلك، من أجل سلامتك أنت بأنفسه
فريمان - يجب أن تغادري كريت»

وقالت في هدوء:

«من أجل سلامتي يجب أن أتوجه إلى الشرطة»

«وساد المكان سيكون مطبق عقب هذا التهديد، وهو تهديد لم تكن توني
لتعكفه في مثل هذه الظروف بالذات لو أن داروس ووالدته كانا أقل أنانية

وأكثر ميلاً إلى الاعتذار.

وأخيراً قال داروس في حزم:

«نصبر حتى لك هي أن تغادري الجزيرة»

«ولا يناسبني أبداً أن أترك الجزيرة، أن أفعل عن وظيفتي وأهربي بسبب تهديدات
هذا الرجل»

«هل ترفضين ذلك تماماً؟»

«بكل تأكيد أرفض... ويجب أن يسجن هذا الرجل»

ولم تكن توني تفقد ما قالته لأن الرجل كان مسناً جداً ولن يعيش طويلاً. بالإضافة إلى ذلك - برغم أن الأخذ بالتأثر يعتبر في نظر الغرب تصرفاً وحشياً، كما يعتبر القتل عملاً لا مبرر له - إلا أنه في نظر الآخرين هنا يعتبر طريقة مقبولة للحياة وهو عادة ثابتة منذ فترة طويلة وربما يرجع تاريخها إلى تقاليد الزواج الغربية التي كانت قائمة في القرى النائية المختلفة... إن هذا الرجل يؤمن بقوة الأخذ بالتأثر. إلا أنه من الواضح أن عقله متأثر بوفاة شقيقته. ولذلك فإنه يؤمن تماماً أن واجبه يحتم عليه تنفيذ الانتقام...

وتدخلت المرأة وقالت في نأس:

«أنته فريمان... هل تغادرن الجزيرة إذا دفعنا لك تعويضاً؟»
«كلا».

قالتها رغم أنها بدأت تفتح قليلاً بضرورة مغادرتها الجزيرة، إلا أنها لم تستطع مقاومة رغبتها في إثارة قلق هؤلاء الناس لمجرد معاقبتهم على تصرفاتهم الجافة إزاءها. واستطردت تقول:

«سأكون أنته تماماً هنا عندما أترجه إلى الشرطة».

والتفت عينا الأم والابن في نظرة سريعة، وكان الرجل الكهل يستند إلى المائدة. صاحب الوجه وأنفاسه متقطعة. ومع ذلك كان قادراً على أن يقول بالانكليزية:

«الشرطة لا تستطيع حراستك طوال الوقت، وسوف أتريض بك ذاتها. هذا ما يحدث عادة في القرية عندما يعتزم شخص قتل آخر، إنه يجلس في منعطف، أو بين الأشجار، وعندما تأتبه الفرصة يوجه ضربه».

ونظر داروس في ضيق إلى جده وقال:

«دعك من هذا السخف. الأخذ بالتأثر عمل غير متحضر».

ربما كان ذلك صحيحاً في رأيك يا داروس، ولكنني لست من جيلك إنني أتبع العادة كما أعرفها، وكما تتصل بإحسان الواجب».

وبرغم أن صوته بدأ يهدأ لكنه كان يعبر عن تصميمه على تنفيذ ما يعتقده بشدة.

وظهرت علامات العيب على وجه داروس، وبدت والدته متوترة جداً وهي

قول:

«إنه يعني ما يقول... يا داروس ما الذي تستطيع فعله؟»

واستدارت إلى توني دون أن تنتظر رداً منه وقالت لها:

«أنته فريمان أرجو أن تحمدي الثمن الذي تريدته وسوف تدفعه... أي ثمن».

وأحست توني بالمتعة عندما رأت الحفيد والدته يعانيان من حالة قلق شديدة ومع ذلك قررت أن تعيد الهدوء إلى المرأة فقالت:

«سأعود إلى انكلترا... وعليكم ان تدفعوا...»

وسكنت عندما رأت داروس يهز رأسه بشدة وقد بدا يريق العناء الشديد في عينيه وقال مقاطعاً:

«لن تدفع شيئاً... لن تسمح لأنفسنا بأن تستغل بسبب هذه العقيدة الغبية التي يتسكك بها جدي. ولم يكن ينبغي لوالدتي أن تعرض عليك تقوداً».

ولم تعد توني مستعدة للتنازل عن أي شيء، ومرة أخرى هدوت بالذهاب إلى الشرطة وقالت في حدة:

«لم يعد أمامنا إلا الشرطة... أو التقود».

وقال لها في احتشاش شديد:

«أنت تستغلين الموقف عن عمد».

وتدخلت الأم وقالت باليونانية:

«داروس... لا تجادل الفتاة، أعطها ما تريد».

ولن أسلم للابتزاز، جدي ماذا بك؟»

كان الرجل الكهل يضع يده على رأسه وبدأ عليه الأرقاع نفسه الذي بدا على توني نتيجة الصراع بينهما. وقال الرجل وهو يذاخر الفقرة:

«أنا ذاهب لأستريح...»

ثم قالت والدته:

«ادفع للفتاة يا داروس، ولنته من هذه المسألة تماماً».

«لن أسمح لأي امرأة أن تطالبني بشيء، كنت غير حكيمة عندما ذكرت التقود».

«ولكن جديك يا داروس يعني ما يقول».

وأرماً ابنتها برأسه ألياً وبدأ عابساً وهو يفكر.

ولا بد أن تكون هناك وسيلة لالتقاء من تلقاء
ليس أمامك إلا أن توافق على أن تنقذ للفتاة.
ورداً في ضيق قاتلاً.

«ذلك ضد مبادئ ولا بد أن تكون هناك طريقة أخرى.»
ثم نظر إلى توني وقال بجدية:
«يجب أن ترحلي...»
«ولكنني لست راحلة...»

وتهدد في حق وهو يقول لوالدته:
«من الواضح أنها لا تريد التعاون بدون أن تدفع لها.»
«عليك أن تتجاوز ميلانك.»

وهالفت عيناه الداكستان وقال مستكراً:
«وهل تتوقعين مني أن أخضع لمطالبها.»

كان صوته جاداً وهو رأسه وهو يتكلم، ولكن عندما رفعه توني بنظرة
جذابة لاحظت ثور وجهه. كان يحدق في الفضاء ويحس من أفكاره واستمرت
توني تراقبه وتساءلت. ترى ما هي السمات التي ورثها عن جده الكهل
المتعطش للدماء! إنه لم يترك شهوة القتل، لكن قسوته كانت واضحة. وبعد أن
ظل لفترة مستغرقاً في التفكير قال أخيراً في صوت مكبوت:
«نعم تريد أنسة لمرجان؟»

وتهددت أنه في ارتياح كأنها أزاحت عن صدرها عينا تقيلاً.
وأوشكت توني أن ترة عليه قاتلة إنها لا تريد سوى أجرة سفرها فقط ولكن
شيطاناً تقمصها فجأة رفعت رأسها وأجابت في تحد:
«لا أريد شيئاً... أنا ذاعبة إلى الشرطة.»

ونظر داروس في عيوس إليها.
«ولكنك كنت تتوهمين طلب المال.»

«غيرت رأيي.» فيما الذي يدعوني إلى التخلي عن وظيفتي؟
وهالفت عيناه على نحو خفي وتساءلت ترى ما الذي يريد أن يفعله وقال:
«وهل هذا هو رأيك الأخير؟ هل أنت مصممة على التوجه إلى الشرطة؟»

وترددت توني بعض الشيء وسألت نفسها: ما الذي جعلها تنادي إلى هذا
الحياة وكيف تستطيع الآن أن تتراجع؟
وعندما أدت ومضة الأمل على وجهه بسبب تأخرها في الرد قالت بسرعة:
«التي مصممة تماماً.»

قالت ذلك وهي تفكر: هؤلاء السفلة ماذا يتصورونها! أن رأي رجل مثل
داروس لا يمكن أن يؤثر عليها إطلاقاً.
وانتهجت الأم باكياً وهي تقول:

«يا عزيزي إنها غلطتك، أنت عقدت الأمور كانت مستعدة لمناقشة الدفع. ليس
هناك الآن شيء تستطيع فعله.»

وصمتت فجأة عندما دخل والدتها الغرفة. كانت عيناها تحدقان في تهديد. وقال:
«فكرت الآن في شيء. ذلك القاتل له عم يعيش في جزيرة كريست. اكتشفت ذلك
وأنا أقوم بتحريرتي عنها! وهكذا غانها إذا ترجمت إلى انكلترا سوف أقتل
عنها...»

واستدار إلى داروس وهو يضحك واستطرد قائلاً:
«نعم سوف أقتله، أو أقتل أحد أبنائه. لديه ابنة جميلة جداً. هذا هو ما سمعته.»
وانحنى وهو ينظر ساخراً إلى توني قائلاً:

«هذا صحيح أليس كذلك، ابنته الصغرى جميلة جداً.»
وقالت توني: «لقد بدأ قلبها يحدق بشدة.»

«لا تستطيع أن تزج بعضي في مثل هذه المسألة.»

لكن الرجل المشن اختلى من الغرفة. وعندما صمتت توني كان الصوت
الوحيد الظاهر في الغرفة هو صوت بكاء والدته داروس.

واستغرق كل من داروس وتوني في التفكير وتساءلت توني ما الذي
يمكن أن تفعله الآن؟

كانت ليحتها في يديء الأمر أن تتعاون معهم، وأن تعود إلى بلدنا. ولكن هذا
التصور الجديد عقد الموقف بصورة خطيرة. فلربما نبيت هنا تتعرض حياتها للخطر.
وإذا رحلت من الممكن أن يتعرض عنها أو أحد أفراد أسرته للسرقة.

«وكانت المرأة هي التي استأملت الحديث أولاً بعد أن رفعت رأسها وتطلعت إلى

داروس وتوني... ثم وجهت كلامها الى ابنتها.

«هل تعتقد أنها يمكن أن تتزوجك؟»

«صدا؟»

لم تكن كلمة الاستغراب هذه صادرة عن توني كما هو متوقع. بل انطلقت من داروس الذي بدا كأنه وقد عقله وحقق في وجه والدته وقد ارتسنت عليه علامات الجنون كجده. وتنهت توني لكنها استطاعت أن تسيطر على ذهنيتها في حين أن داروس كلف عن مضاعفة واستطردت الأم قائلة بسرعة:

«كما نعرف... انه من المخطور التأثر من الاقرباء. وإذا تزوجتها. فسوف ترتبط بصلات القرابة. وبالتالي لا يستطيع جيك أن يس أحد. ثم يستطيع ذلك طبقاً للقوانين القرية التي يتصاع اليها قامة أنا أعرف أنك مستنكر ذلك يا داروس ولكن ألا تحتمل الزواج منها؟»

وظف داروس على ذهنه لا يستطيع إلا أن يحلق في وجه أمه. كان واضحاً أنه يتصور أنها غدت عقلها.

أما توني فكان يبدو عليها أنها فهمت شيئاً ولكنها استطاعت مرة أخرى أن تهاك بدون أن تبجو عليها علامات الدخشة. ولكنها كانت تهمس بالحقن من جرأة هذه المرأة.

توني لم تقابل أبداً أسرة على هذا النحو منذ وصلت الى اليونان. في بداية الأمر كاد أحد أفراد الأسرة أن يقتلها. وبعد وصول المرأة وابنتها المتفطرس لم يحاول أي منها أن يسألها عن حالتها أو يقول شيئاً جدياً أعصابها. ليس هذا فقط بل امرؤها بمغادرة الجزيرة وانتهت بالابتزاز ولم يبق الآن إلا أن تزوج هذا الشاب الذي لا يطاق. إذا ما وافق على اقتراح أمه. في سبيل إنقاذ الرجل نفس المجنون من نفسه. ثم يحدث في حياتها أن أحست برغبة عارمة في الانتقام ليل الآن.

وردة داروس في فعل:

«تزوجها؟ على جنتك؟»

وأمام هذا الاحتقار والاشتمزاز وأمام بلاذته لأنه يلتمس أنها تجهل ما يدور

حولها عند صير توني وكلمات تفجير ساخطة... ألا أن الأم كانت أسرع منها في الرد على داروس:

«إنه اخل الوحيد... وربما بالطبع لا تقبل الزواج منك لجمد إبقاها عنها. ولكني أعتقد أنها لو عرفت ما لديك من ثروة»

«هذه الفكرة غير واردة إطلاقاً. لاشك أنك قددت عقلك وأنت تقترحين ذلك.» وبحركة صفوية عدل على اليأس اجتمعت المرأة عن ابنتها ورأت توني الذعر والحرف في عينيها كانت تحب أبها بالتأكيد ولاشك أن دخوله السجن سيحطم قلبها. وغادت المرأة تلح مرة أخرى وتقول:

«إنك لو تزوجتها سيكون الأمر مؤلماً. لمن الواضح أنك لا تريدها بهذه الطريقة. وهكذا فإنه فور حدوث أي شيء لجدة تقوم بطردها وإلقاء الزواج. ثم أكن لأطلب منك أن تتزوجها لو كان هذا الزواج سيؤثر عليك طوال حياتك. ولكن الأمر لن يطول.»

ولم يعقب داروس بكلمة على ما قالت الأم التي استطردت: «هناك أيضاً مشكلة العار... هل فكرت في ذلك. إن الأخذ بالتأثر يعتبر إجراء غير مشروع في نظر المثقفين اليونانيين. وأنت رجل مرموق بين رجالك. ألا تفكر في اقتراحي من أجل مصلحتنا جميعاً. هناك أيضاً شقيقاتك... تذكر هذا.»

وكلمات توني تفجير عظيم عندما استمعت الى هذا الحديث. انها تقول له فكر في الاقتراح.. كأن هذا الاين للفتطرس ليس عليه الا ان يرفع أصبعه فتصرع توني اليه أية توضيح:

وردة الاين قائل:

«هذه المسألة ليست موضع تفكير بتاتاً»

«جوليا في الجامعة ومارغريتا... الزوجان مكانته... انه رئيس القرية وبني

عليك ألا تجعلهم يعانون من هذه الفضيحة»

وبدت عظام أصابع توني تنقلص وشعرت أنها مستفجرة بالتأكيد إذا لم

تقاوم هذا البيت قوفاً. ومع ذلك لم تحاول الانصراف. كان فضولها كبيراً وهي

ترقب كيف يعالجان المشكلة... وقال داروس:

«هذا مستحيل. انك تعلمين رأيي في للمرأة الانكليزية.»

واشعل غضب توني وهي تسمع داروس يقول:

«الفتيات الانكليزيات لا يصنعن بالمخاطبة ومقرورات. إنهن كالمرزقة اليلعات عن الغضب. يوقعن ضحاياهن في الشباك تحت سائر عجزهن وهنقهن. ولكنهن فيما بعد يفرضن قوة تحررهن على أزواجهن. وأخيراً يتصورن إلى شخصيات ضعيفة مجردة حتى من احترام النفس... كلا أشكرك، عندما يحين زواجي سأختار يونانية تعرف حدودها كالمراة»

وألقهم كراحتك يا داروس. ولكن كما قلت لك، هذا هو الحل الوحيد. انا أنبذ تلك الذكورة قامة. ولكن التضحية من جانبك يمكن أن تنقذ جسدك من السجن. ولأنه إذا دخل السجن ربما يموت هناك. انا متأكدة أن العنقوبة لن تكون بخفة رغم كبر سنه»

وشعرت توني أنه يواجه صراعاً شديداً. كانت النظرات التي رمقتها بها لا تقلل غداً عن النظرات التي كانت تلقاها من جده.

كان داروس يحدث صبرياً بأسنانه وهو يفكر فيما قالته والدته. ان هذه الفتاة غارقة في صلف المرأة الانكليزية وربما لا تفكر في الزواج حتى من أجل الأموال. وصرح برأيه هذا لوالدته فشغلت المرأة وفعلت توني الشيء نفسه ولكن في صمت. كان وجهها يحدو عليه الغضب وعدم التصديق.

وأخذ داروس يطلب الأمر بينه وبين نفسه. إنه مجرد ترتيب مؤقت. جدي يمكنه أن يموت خلال أسابيع، فهو يزيد عن الثمانين.

وانبرت الأم للثلاث في حاس يدون أن تستمر الرد.

واسألها. انا متأكدة أنها سوف تقبل. برغم أنها أظهرت عنادها إن ذكر الأموال سوف يقتنعها... كنت نقول دائماً إن النساء الانكليزيات تلعن أي شيء مقابل المال. ولذلك لا أعرف لماذا أنت متشككة في موافقتها. اذكر لها أنك من أصحاب السفن وسوف تستسلم للزواج عنك... وإذا ترددت بعض الشيء اذكر لها للزور الذي فلكه أو القتر الصيني في جزيرة رودوس. عندئذ لن تستطيع المقاومة. وسوف يكون عليك تعريضها فيما بعد عندما تقرر إنهاء الزواج. ربما تطالب بمبلغ كبير. ولكن الأمر يستحق التضحية»

لم تكن توني قد شعرت من قبل بهذا هذا الاغصان والمهبط ولكنها

استسلمت لشعور داخل بأن من مصلحتها أن تبقى صامتة. وأخيراً رد داروس على والدته:

«ربما تكونين على صواب. إن معرفتها بالثروة قد تغير بريقاً في عينيها»

وعندما تطلعت عيناه الداكنتان إلى توني باحتقار شادت ثرى هل يتكلم عن تجربة سابقة؟ هل حدث يوماً أن فتاة انكليزية خذلتها؟ يبدو أن هذا ما حدث ومع ذلك حتى إذا كان يعاني الاحباط أو الاهانة، وهذا أمر بعيد الاحتمال، شعرت توني أنه لا شيء يمكن أن يؤثر على رجل يلا قلب ولا مشاعر... فإن هذا لا يبرر حكمه بأن كل الفتيات الانكليزيات سواء. وعادت الأم تغريمه قائلة:

«الأمر لن يطول وسوف توضح لها الموقف حتى لا تتوقع منك أن تخصص لها وقتك أو اهتمامك وما عليك، الا أن تتناول معها وجبات العشاء فقط حتى يبدو الأمر طبيعياً في وجود الخدم. ولما عدا ذلك باستطاعتك أن تنسى حتى يبرد وجوهها...»

وصمتت المرأة برهة ثم قالت:

«هل ستأخذ الآناء ورفق حاجبيه السوداوين. وقال:

«وكلا ليس في هذه اللحظة بالذات. أعطيني بعض الوقت لأستعد على التفكير»

٢ - باب بلا مفتاح

وهكذا مضت ساعات عدة قبل أن يطلب داروس لاتييم الزواج منها في فندق هيرمز حيث كانت تقيم. ساعات أحست توني خلالها أن جسدها يحترق من الغيظ والغضب. لكنها بعدما استعادت حواسها بدأت تفكر الأمر في تفعل. كان داروس لاتييم قد سأله عن محل إقامتها قبل أن تغادر منزل جده. وبأخوت إلى إعطائه العنوان مستلهمة إحساسها الداخلي بالألطف... لكن عطفها كان مشوشاً في ذلك الوقت. كانت تحاول يائسة أن تهلل المشكله بينها كانت فكرة الزواج تفوق ولوعة؟

وهي مسترخية في مياه الحمام الدافئة شرعت تستعرض المؤلف بصورة مرشوخية. ملطية الأنساء على كل الأطراف محاولة ربطها... كان هناك من ناحية داروس صاحب البن النثري يمتلكه في البوتان، ومقر إقامته الصيفي في جزيرة روتوس الجميلة وقد فهمت توني من كلامه أنه يقيم هناك من ناحية أخرى جده الكهل العنيف الذي لا يمكن الاستغناء بأي حال بنهدياته ان يقتل أحد أقارب أخيه. كان هذا الرجل السافل الكهل يقصد فعلا مايعنيه، ثم هناك والدها القاذر فلا يعملان طوال حياتها الزوجية لتدعيم تجارتها، وما بحاجة إلى خمسة آلاف جنيه لانقاذها، وكان والدها قد كتب لها وتساءل: من أين يمكن الحصول على هذا المبلغ؟ وفكرت... من أين هذا؟ كذلك كانت هناك شقيقتها بام التي تستطيع بالتأكيد ان تغد من مساعدة مالية بسيطة.

وأخيراً هناك توني نفسها. التي أصبحت تراودها الآن فكرة الانتقام من هذا الأجنبي الشفطرس وإرغامه على دفع ثمن كل هذه الإهانات التي سبعتها - ولم يعلم من اللوم أنه تصور أنها لم تكن تفهم الحديث الذي دار معظمه باليونانية وفي النهاية قررت توني... نعم... إن الزواج من داروس ضروري ومرغوب فيه. قلل بحل فقط مشكلات سلامة الأسرة ومواردها المالية. ولكنه سبهر أيضاً قرصة عظيمة للانتقام.

خرجت توني من غرفة الاستحمام وهي تلبس جسدها في مشقة وتوجهت إلى الغرفة الأخرى حيث نظرت إلى نفسها في المرآة.

لاشك ان داروس كوّن لنفسه فكرة عن الفتاة الانكليزية العادية. فلماذا لمحب أمه! إن هذه الفكرة سوف تكلفه ميدانيا خمسة آلاف جنيه. ولذلك من العدل أن يأخذ شيئاً مقابل ما سبدعه من أموال!

وبعدما أحست توني بشئ من العجز عن مواجهة الموقف هكذا. فكرت في أن تدبر الأمر. ربما تستطيع أن تنصرف بشكل ما لتعطيه ما يتوقعه. وبعد ذلك تبدأ تدريجياً في تنفيذ خطتها كلها.

أعلن داروس أن الفتيات الانكليزيات مرتزقات. حسناً... سوف يكتشف حقيقة ذلك. وقال لهن غير جذابات أيضاً! ووضعت يدعا على المشقة التي تعلق رأسها بحالة تشبهها. وأعدت إلى الوراء خصلة من شعرها الذهبي لتجمل كانت تغطي وجهها العريضة.. لابد أن تظل المرأة الانكليزية كما يتصورها. غير جذابة. وبالإضافة إلى ذلك إنه يرى أنها مغرورة! الأمر لن يكون صعباً! أشار أيضاً إلى قوة التحرر لدى المرأة الانكليزية! وسوف يجعله يتذوق هذا بنفسه عندما يتزوجان!

ولمادة لمت عينها المفسراوان برتياح كبير عندما يحين الوقت لفسخ هذه الزيجة وإنهاء كل رابطة بينها سوف يتبنى داروس لاتييم لو أمكنه أن يسحب كل إهانات التي لمرأ على ترجيحها إليها في حضورها ولحمت سمعها.

وظهر داروس وسط غرفتها مرتدياً بذلة من التوبير المعتاز وتظاهرت توني بالندشة من اقتراحه الزواج منها الذي عرضه عليها في فتور. ثم ألقت بنفسها على أقرب مقعد وقالت باهتسامة على شقيقتها.

«أفزوجك أنت ياسيد لايمبر؟ إنني لا أفهم. لابد أنك غير جاد فيما تقول.» وهرت رأسها متظاهرة بالحمية والدعشة مرة أخرى وبت ابتسامة خجولة على شفتيها.

ونظر إليها داروس في سخط محاولاً ضبط نفسه وهو يقول
«لم أكن لأحضر إلى هنا لو كنت غير جاد بالنسبة فريمان. جدي متأثر جداً بموت شقيقته. يضاف إلى ذلك أنه يعيش في قرية منعزلة حيث مازالت عاتبة الأخذ بالتأثر قوية. وهو يعتقد حقيقة أن واجبه هو تنفيذ الانتقام، إلا أنه من المحظور في قريته أن ينفذ الانتقام ضد أقاربه. ولذلك فإن زواجنا سيكون قتلًا في حين أن سلامتك وسلامة أسرتك.»

وجلس داروس وعلامات القلق تبدو عليه. فقد كانت لديه الرغبة في أن تنتهي هذه الصلقة بسرعة، ولكن لم يبد عليه الارتياح...

وردت عليه توني:

«كما أن زواجنا سيكون ضياعاً لعدم دخول جيك السجن.» ونظرت إليه وتمعنته ابتسامة حلوة. ونظر إليها داروس في غضب. وشعرت برغبة كبيرة في الضحك. بلا شك أن الموقف بدأ مضحكاً... في نظر توني على الأقل.
«بالضبط.»

فلما في تردد، ثم أخذ يجول ببطء في غرفة المتواضعة. وكانت توني تجلس في كرسيها تنظير إلى وجهها في المرآة. كأنها معجبة بجمالها. ولاحظ داروس فجأة تصرفاتها. وشعر بشيء من الاعتقار لها. وفكر أنها مغرورة فعلاً، ومرت فترة من الصمت، وقالت لنفسها:

«زواج! لو عرف الرجل صاهو مقدم عليه لقام يركض!»

«حسنًا...» هل قررت شيئاً؟ واتسعت العيونان الحضرأوان، ثم قالت:

«في طس دقائق فقط! إنه قرار هام جداً بالنسبة إلي... سيد لايمبر. إنني لا أعرف شيئاً عنك.»

وسألتها بلهجة تدل على القلق والغضب:

«ما الذي تريد من معرفته عني؟»

«حسنًا... ما هي حالتك... ياسيد لايمبر؟»

«حالتني.»

«أفقد هل أنت ثري؟ أقست دائماً ألا أتزوج رجلاً فقيراً. إن أي فتاة يتبعون عليها أن تذكر في مواردها المالية... ألين كذلك؟»

كانت نظراته التي تنسم بالازدراء تحملها من رأسها حتى قدميها وكانت توني من ناحيتها لا تستطيع أن تكتم رغبتها في الضحك.
«أنا صاحب طين.»

وبدا ويمض القرح في العيون الحضرأوان كما توقع وأردفت توني:

«إذن فلا بد أنك تزي فعلاً هل لديك منزل كبير؟»

«نعم في اليونان.»

ونظرت إليه باستغراق وتأمل... ودمدمت قائلة:

«بعض الرجال الأثرياء يمتلكون عدة منازل...»

بدأت خيبة الأمل في نبرة صوتها. وقال لتوني في برود:

«لدي أيضاً مقر إقامة صيفي في جزيرة رودوس. ولكني لأمتلك أية منازل أخرى. إنني أسف لذلك (فالها في تهكم) ولكنني قد افكر في شراء منزل آخر فيها بعد.»

كان واضحاً أنه قال ذلك حتى يفرجها بالقبول. وقالت توني أخيراً وقد قررت إظهار العجز والغضب الذي كان قد أشعل أيتها في كلامه عن الفتيات الانكليزيات:

«أشعر أنه من واجبي أن أستمير والذي... قريباً لأمعجبه فكرة الزواج من أجنبي وبدون رضا.»

ورجع داروس رأسه لتألاً:

«توقعت أن تكوني قادرة على اتخاذ قراراتك بنفسك. كم عموك الآن؟»

وعضت شفتيها واستمرت قائلة:

«٢٣ سنة... وأعتقد أنني أستطيع أن أخذ قراراتي بنفسي لكنني اعتدت أن أتناول مع والدي في المسائل ذات الأهمية.»

ونظر داروس إليها في تشكك... وعدم في ثبات جاف:

«وهكذا إذا أردت الزواج واعترض عليك على اختيارك... ستعرضين لحكمي...»
ومرة أخرى هز رأسه وشعرت توني بالغضب. لكنها استطاعت أن تقول:

يبدو:

«كنت أفكر في تسوية أكثر من أي شيء آخر.»

«تسوية»

وقالت توني وكأن هذا أمر مسلم به:

«ذلك بالتأكيد توني عرض تسوية»

وزم داروس فيه وبدت عليه ملامح اليوناني الجاف بظلك المخطوط القاترة والنظرات الجامدة. وكانت لمس أن مشاعره مشتتة بالحق والغضب. وفي الوقت نفسه تأمل برغم ما شعرت به من سعادة في أعينها ألا تكون قد بالغت في تقدير إمكانية التعامل معه وقال:

«عندما ينتهي الزواج سيكون قد حصلت على تعرض كاف. وليس قبل ذلك.»

وشعرت توني بالصدمة وهي تقول:

«ولكن أليس سيصير على التسوية الآن بسبب هذه الظروف غير العادية. ذلك سيكون هيباتاً لي... وقللاً ضامناً ثم قال:

«هيبات من ماذا»

«من المستقبل. فقد لا أجد أبداً زوجاً آخر بعد أن يتم الطلاق.»

«ولكن لن أطلقك.»

«لا تفرقي في ذلك، الرجال لا يرغبون في امرأة تكون من قبل...»

ورفع حاجبيه وقال بلهجة جافة:

«أعتقد أنه لي بلبلة لا يتم أبداً إذا كانت المرأة قد تزوجت من قبل نصف دستة من الرجال.»

وأحر وجه توني غضباً وهي ترمقه بعينيه اللامعتين وتقول:

«لست نساء بلا أخلاق يا سيد لاتيير»

«إنها مسألة رأي. في أي حال إننا نتبعد عن جوهر الموضوع.»

«مسألة دفع مبلغ من المال تأتي عندما يقسم الزواج. وسوف يحصلون على مبلغ شهري كبير وسيكون هذا كافياً لي أن تؤدي وفاة جدي إلى انفصالنا.»

قال ذلك بلهجة صارمة لا تمل على أي مرونة. وأجابت برفق:

«إذا كانت لا تريد أن تقدم هذه التسوية الآن.»

«لا أرغب في ذلك الآن.»

وعادت بأفكارها إلى والدتها فأثناء تلك الساعات التي قضتها بانتظار

وصول داروس شعرت بالمعاناة لفكرة إرسال النلود إليها وكانت تعرف أنها

متصاصة بخلية أمل إذا لم تستطع تحقيق خطتها. وقالت:

«في تلك الحالة لا يمكن أن يتم الزواج»

ووجهت نظرها إلى أطفالها ذات الطلاء اللامع ثم نظرت في المرأة. وبنا على

الرجل أنه يحتقرها لمسلكتها العائث. واستطردت تقول في صوت حاسم:

«إذا لم تزوج فالمرء سيحرق إلى ما كان عليه عندما غادرت بيت جدي.»

ثم تهافتت في عتق وأهانت:

«سوف أحضر إلى طلب حيازة الشرطة ولكنني متأكدة أنه سوف يعتدي على عمي.»

ونظر داروس إليها في حلق قاتلاً:

«هل ترجعين إنذاراً إلي»

وقالت في حدة:

«لن يكون هناك زواج بدون تسوية. أنا انكليزية كما تعرف ونحن نحب أن نحصل على الأمان... لكنك ربما لا تعرف الكثير عن القنيتات الانكليزيات»

وحقق داروس فيها بجلاء شديد وأصاحت توني برأسها خائفة أن تكون

قد قتلت بعض الشيء في حديثها اليه. الأمر سيكون خطيراً لأن داروس

لا يمكن أن يكون غيباً. ويجب ألا يكشف أنها فهمت كل كلمة قلها عنها وعن

أهلها. على الأقل ليس في الوقت الحاضر.

ومضت فترة طويلة من الصمت قبل أن يسألها بخشونة:

«وكم تبلغ هذه التسوية»

«حسناً... أعتقد أنها خمسة آلاف...»

وقاطعها بشدة قاتلاً:

«ماذا تقولين»

«إنك تستطيع دفعها لملا يا سيد لاتيير فهي لا تساوي شيئاً بالنسبة إلى رجل

مثلك. المعروف أن أصحاب السفن اليونانيين هم من يبن أغنى أثرياء العالم.»

«هل تترقبين متى أن أقبل عن ميلغ كهذا الشخص غريباً»
«وأنت أيضاً غريب بالنسبة إلي، ولذلك كيف يمكن أن أتق فيه العيب أن أحصل
على النسوة فوراً»

وشعرت توني بالانقباض على هذا اليوناني المفرد، ولكن هذا اليوناني
المتخطف لم ير شيئاً بعد، فليست حتى تصيح زوجته.
«نهض داروس واقفاً وهو ينظر إليها في احتقار بارد بدأ واضحاً في عينيه.
«سوف تحصلين على المبلغ بمجرد أن تتزوج، وسوف أعطي للعالمى التعليقات
الضرورية»

«لكنني أفضل أخذ النقود الآن»
«وقاطعها قائلاً»

«سوف تحصلين عليها عندما تتزوج»

كانت عباراته هذه المرة قاطعة لا تسمح بأي جدال ولم تجد قائدة من انقباض
عليه أكثر إن الآلاف الخمسة في رأسها ستكون بداية.

وسافر الاثنان إلى رودس بحراً. ووصلوا ظهراً. كانت سيارة داروس تقف
في ميناء مندراكي. وبدأت من هناك الرحلة الريفية. تركا مدينة رودس الرائعة،
وأجهها جنوباً على طول الساحل الذي تحفه جبال شاهقة من ناحية، والبحر من
الناحية الأخرى. وكان الطريق ممحداً غير قري بيضاء جميلة. وبعد أن قاد السيارة
لفترة من الوقت في صمت تام قاطعاً داروس يحدث بخمر قلماً من أي تور
وأخذ يصف لها الأماكن والقرى المختلفة ومتنجاتها المشهورة.

هذه قرية أغنيسو الشهيرة بشار الشمس وهذه قرية أركيا ليلرس حيث
ينمو أفضل برتقال على الجزيرة. وبعد ذلك انقلب الطريق عبر ممر جبلي إلى
ماتونا، واخترق سفوحاً مغطاة بالأشجار ليل أن يتجه جنوباً مرة أخرى نحو
ميساريا. هناك كانت كنيسة بيضاء كبيرة، واضطر داروس أن يتوقف هنا
أخذ راح عبر الميدان مع قطيعه يهبط وبدون اهتمام، كانت الأشجار الظليلة لعمل
المنطقة كلها بلادة وهي أشجار لوز وزيتون مثاثرة هنا وهناك.

ولجأة استرعى انتباه توني رجل يجلس إلى طاولة خارج منزله ويذو سلاحيه
بطريقة غير لائقة، وتشغل سيكلونه من لده، صق الرجل يده في طريقه

متخطفة لجماعته امرأة بسرعة، تحدث إليها وعادت مرة أخرى لحمل صينية.
والفتحت ثوبتي إلى داروس قائلة:
«هل هذه زوجة»
«نعم»

كان داروس يشم وهو يرى قطعية قليلة تكسر جبهتها.
«كيف يعاملها بهذه الطريقة الغريبة»
«اعتادت على ذلك»

«وجه اهتمامه إلى قطيع الماشية»

«إنه يصفق لها بيده كأنه يتأنى عبداً»

«حربا ينظر إليها فعلاً على أنها عبدة»

«لاحظ داروس أن وجه توني احتلن بحمرة الغضب، فقال في لسة مودة
أثارت دهشها:

«لا تقولي كثيراً... إن أقبل هذا معك»

«وددت بسرعة وقد لعت عينها»

«إن يكون لذلك تأثير كبير لو فعلت ذلك»

«وتوتر الموقف بينهما، وال الاثنان صامتين طوال عشرين دقيقة، إلى أن وصلا
إلى ليندروس وعندها حدثت توني في روعة المكان»

كان أمامها مشهد بالغ الروعة من المناظر الطبيعية اليونانية. فعلى مرمى
البحر إلى أسفل كانت هناك صفوف متراصة جميلة من المنازل البيضاء على
حافة التلال، يتخللها شاطئ عسلي، تعالقه أمواج بحر ايجيه المغطاة بالزيت وإلى
اليمين أكروبوليس ليندروس حيث معابد اليونان القديمة، وبعدها تينو
لمحصينات وفلاع البيزنطيين قران القديس يوحنا، إلى يسار الخليج الذي تعرفه
أشجار التخليل الياقة من كل جانب، وعلى تنوع صخري داخل البحر مقبرة
حاكم ليندروس القديم الاسطورية الشكل التي يند تاريخها ثمانية آلاف
عام، إنه شيء جميل حقاً. كانت الروائع العطرة تفوح من الزهور المنتشرة في
جيات الطريق. وهنت توني معبرة عن إعجابها وجمال المشهد.

التفت إليها داروس وقد بدت عليه الدهشة، ولكن توني ترى هل كان

يعتقد أن الفتيات الانكليز بات بسبب شروعهن وحيهن لجمال لا يقفرون الجمال !
يجب ان يتعلم الكثير هذا اليوناني المتفطرس القنيد
واجبه داروس سيارته ناحية الشاطيء ولحت توني من بعيد منزلاً
أبيض رجعت أن يكون منزله. وقال لها
فانه على الشاطيء مياثرة. وهو عني داخل الصخور. وسوف تربته عندما تمر
بالمتعطف التالي. ها هو ذا. بككك رؤيته أوضح الآن
كان المنزل كما قال شيئاً داخل الصخور من الأحجار الرملية. وكانت له
المراس واسعة وشرفات في كل غرفة تقريباً وعندما اقتربا من المبنى شاهدت
توني التأثير الغريب طاهراً في طريقة تقليم الأشجار. والمروج الخضراء
الواسعة. ومام السباحة الذي تحيطه مقاعد الحديدية والكراسي. كان المشهد خللاً
حقاً. المنزل مواجهاً للشرق بينا المدينتي لناعية الجنوب. والاكروبوليس تبسو من
جهة وقرية البينروس من الجهة الأخرى. ثم ظهر على مبعده الخليج الصغير
المحاط باليابسة. ويقال إن القديس بولس نزل في طريقه إلى روما. وأعطى
هناك فتية طريقة استطاع خلالها أن يحول اليونانيين الوثنيين إلى الدين
الجديد. وفي الناحية الأخرى كان جانب التل المقطى بالأشجار الكثيفة وأمام
البيت عند البحر الفيروزي السامع.

وانفتحت البوابات الحديدية الضخمة وغيرها داروس في سيارته... الأشجار
من كل جانب حتى وصل إلى مدخل البيت... وجاءت ماريا تلقي نظرة خاطفة
على سببتها الجديدة.

ويبدو أن داروس قد أبلغ خادمته بزواجه ذلك أن ماريا اتحت
قليلاً أمامها وقالت باللغة اليونانية:
«مرحباً بك يا سيدة لاثير».

ونظرت توني إلى زوجها مستفسرة لما كفى بالقول:
«ماريا تقول مرحباً بك».

وردت توني في عوفة:
«أشكرك يا ماريا».

وابتهجت ماريا عندما سمعت هذه العبارة.

«اتتعلمين اليونانية».

ونظرت توني مرة أخرى إلى زوجها الذي وجه حديثه إلى ماريا قائلاً:
«لا يا ماريا السيدة لاثير لا تتحدث لغتنا».

ثم ظهر زوج ماريا. بعدما قدم التحية. أخرج الخدشب من السيارة.
والتفتت الخادمة توني إلى غرفتها التي تطل على البحر. وكانت النافذة
الجانبية تطل على القرية وقد بدت الاكروبوليس في أعلاها. وانفتح باب
يلصل بين غرفتين. والفت توني نظرة سريعة على غرفة نوم داروس. ولا حظت
أنه لا يوجد مفتاح في قفل باب غرفتها. لكنها لم تستطع أن تسأل ماريا عن
مكان المفتاح. ثم سمعت خطوات داروس تقترب منها لفتات:
«لا يوجد مفتاح للغرفة».

واخر وجهها قليلاً عندما رأتها ينضم سائراً وهو يلقي نظرة أية على القفل.
وأخشى ألا يكون هناك مفتاح. إلا أن ذلك لا يمس كثيراً إن أحداً منا لن يحاول
مضايقة الآخر».

وزاد وجهها خجلاً وهي تقول:
«ولكنني أفضل أن يكون هناك مفتاح لو سمحت».

«قلت لك إنه لا يوجد مفتاح. أضعته حينه كان ينزل هنا منذ فترة طويلة».

ومن الممكن صنع مفتاح آخر يكل تأكيده.

ونظر إليها مقلها حينه:
«هل الأمر مهم إلى هذا الحد. أؤكد لك أنه ليس هناك ما تخشيه مني».

وقال ملاطفاً:
«سعي كرسياً وراء الباب. هذا ما تفعله النساء عادة أليس كذلك».

وردت قائلة:
«يبدو أنك تعرف ذلك. وربما متعت مرة دخول الغرفة بهذه الطريقة».

ورفع حاجبيه وقال لها:
«ما عني. لم أردت أن أدخل غرفة لمن يعني شيء صغير كالكرسي».

«ولي هذه الحالة لا بد أن يكون معي مفتاح».

قالت هذا بسرعة وبعد قليل تفتت لرو أنها ظلت حاسمة. ورمها نظرة تعبير عن

احتجاز وقال:

«طرفتك هي آخر غرفة أرغب في الدخول إليها»
وأغلق الباب وراءه. تاركاً إيها واقفة في غزلتها وقد احمر وجهها غيظاً. أما هو
فسرت في جسده وعشة الحزن. وهذه إهانة أخرى تضاف إلى الإهانات السابقة لها
إنه سوف يبلغ الثمن .. إنه لا يعرف كم ستكون هذه المفطرة!

٣ - دعوا الاطفال يأتون...

كانت توني وجوليا مسترخيتين على الشاطئ تحت الشمس. وكان يمشي
من بعيد الزورق الأبيض الذي يملأ مارغريتا وزوجها قادمين من جزيرة
كوس الصغيرة. وعندما رأت جوليا الزورق قالت في حدة:
«ألم يكن داروس أنانياً لأنه تعبد عدم اصطحابنا معه»
«إن الرجال اليونانيين لا يصطحبون نساءهم معهم عادة»
«ولكن داروس نصف إنكليزي، لقد تربت والدتي عندما كان داروس
يبلغ من العمر عامين فقط وتزوجت مرة أخرى بعد عام»
«لكن فقد تربى داروس كيوناني»
ومضت توني تقول بدون أن تنتظر رداً:
«ولذلك فإنه يميل أكثر إلى اليونانيين عنه إلى الإنكليز وفي الحقيقة لا أنظر
إليه كانكليزي أبداً. وهذا هو أيضاً السبب في أنه لم يصطحبنا معه»
«لكن ذلك لم يكن صحيحاً تماماً. إن داروس لم يكن ليطلب من توني
أن ترافقه إلى كوس. ولذلك فإنه لم يستطع أن يطلب من شقيقته ذلك»
«وبدت جوليا قلقة وأصبحت توني متوترة كأنها تنتظر شيئاً»
«كانت جوليا تقيم مع شقيقها منذ أسبوع تقريباً بعدما جاءت من أثينا
في عطلة السببية التي بدأت في أول شهر يونيو حزيران، منذ اليوم الثالث
لوصولها بدأت ترمق توني بنظرات غريبة بين حين وآخر وكانت في بعض
الأيام مهم بالانفصال إليها بأسرارها حتى تكتسب ثقتها لكنها كانت تقهر وأنها

كل مرة. وأخيراً فالتكت جوليا نفسها وقالت لتوني في كلمات سرية:
«توني، هل تعتقد أن الخطأ أن يكون لك صديق قبل الزواج؟»
ولدت توني خاتم الخطوبة في أسبوع جوليا. وضعت هذا الخاتم في أصبعها
منذ أقل من شهر.
«لا أعرف كيف أحببك، في بلد لا يتم هذا الأمر أبداً. ولكن هنا، لا يصح للفتاة
اليونانية أن تتخذ صديقاً لها قبل الزواج. أليس كذلك؟»
واحتر وجه جوليا الجميل خجلاً وهي تقول:
«كان لدي صديق في الجامعة، واسمه كوستاس»
وانتظمت جوليا حصة عن الأرض، وقلبتها في يدها. وقد بدا عليها الحرج.
«وعل يعرف خطيبك ستيفانوس شيئاً عن هذا الصديق؟»
«كلا... أنني لا أجزؤ على إبلاغه»
«وماذا عن داروس ووالدتك هل يعرفان ذلك؟»
وأومأت جوليا برأسها وقد زاد خجلها.
«إنهما يعرفان كوستاس. لكنهما لا يعرفان كل شيء»
وقالت توني في استغراب ودعشة:
«كل شيء؟ ماذا تعين بذلك يا جوليا؟»
وردت وهي تتعثر في كلماتها:
«لم أكن لأفعل ذلك لو عرفت أنه لا يحترم الزواج بي».
وحدثت فيها توني وهي لا تصدق ما سمعته ثم قالت:
«أنت! ولكن، أنت تعرفين أن ذلك غير مسوح به في اليونان يا جوليا، كيف
ذلك، انه محظور عليكين حتى الخروج مع شاب»
«الأمر يختلف في الجامعة، الأحوال تطير، نكون بعيدات عن أمعنا وبيوتنا،
وهكذا يكون لنا أصدقاء»
«ودعمت توني»
«لماذا أحس بهذه الرغبة؟»
«مع ذلك بدأ جسدها يرتعش فغلاً وهي تقول:
«هل سيكتشف داروس ذلك؟»

«لا أعرف يا توني واستطردت باكية يجب أن أخبر ستيفانوس قبل أن
تتزوج. أليس كذلك؟»
«فكرت توني ملياً كانت تعرف من خلال إقامتها في اليونان أن جوليا
ستواجه مشاكل كثيرة عندما يكتشف عريتها امرءا،
«أعتقد أنك لا بد أن تقولي له، نعم هذا واجب»
«وفي هذه الحالة سيفقد داروس، لأن ستيفانوس ربما يرغب في فك الخطوبة»
«ياها من مشكلة»
«نظرت إلى الفتاة بشي من الأسى ثم قالت:
«ولماذا ارتبطت بـستيفانوس؟»
«أعتقد داروس ووالدتي أنه من الأفضل أن أنسى كوستاس ونظراً لأن
داروس يعرف ستيفانوس منذ فترة طويلة - أعتقد أنه سيكون زوجاً مناسباً»
وأصرت توني على أستاذتها وقالت:
«فرض شقيقك عليك هذه الخطوبة لجره أنه يعرف هذا الرجل لأنه اعتقد أن
ستيفانوس سيكون زوجاً صالحاً، إنني أكاد أجن عندما أسمع مثل هذه
الأمثلة، ولكنك الشخص الذي يدرك ما يريد، وليس داروس»
وقالت جوليا في شيء من العتاب المهذب والدعشة:
«بعضي ألا تتحدثني عن زوجك بغیر احترام، لأنه لم يرغبني على الارتباط
بستيفانوس. أشار علي فقط بذلك، وكذلك فعلت أمي، وكان يمكن أن أرفض
خطبتي لستيفانوس»
«هل تحبينه؟»
«كلا يا توني، إنني أحب كوستاس»
«لماذا لم ترتضيت بـستيفانوس؟ هل أدركت الصعوبات التي تواجهك؟»
«لم أكن أعرف ماذا أفعل، لم أسمع عن كوستاس شيئاً منذ مغادرتنا في شهر
حزيران يونيو الماضي، وكان داروس يشعر بالدهشة لو أنني رفضت
ستيفانوس»
«وانتجرت جوليا باكية مرة أخرى، ثم استطردت قائلة:

وأجست بالزعيم. لأنني كنت أعلم أنني لو رفضت، سيأثني داروس عن
المنصب...

«وكان يمكن أن تقول أنك تحبون كوستاس».

«لأن أكن أرغب في الحديث كثيراً عن كوستاس. فلربما يشك داروس في شيء،
أنت لا تعلمين يا توني. كم هو حاد الطباع. كنت أخشى أن يضمن ذلك، لأن
وحيث كان يصرّ خجلاً كلما ذكرت اسم كوستاس».

وتحدثت توني، كانت جوليا تطلب المساعدة، ولكن توني عجزت حتى
عن تقديم النصيحة لها.

«ألم يقل كوستاس لك أبداً إنه يحبك»

«قلنا كثيراً، ولم أكن لآتدنى معه في علاقتنا لولا ذلك. كنت أترفع دائماً أنه
سيترجني بمجرد الانتهاء من الجامعة».

«وأين يقيم هو»

«في جزيرة كوس».

وتطلعت توني إلى الزورق المقل من هناك، وقالت:

«هذه هنا كانت رغبتك في أن يصطحبك داروس نعمة».

«كلا... في الواقع... لأنني حتى عندما أكون مع داروس نقيم دائماً في منزل
زوج شقيقي نتناول المأكولات ثم نعود إلى هنا... داروس يحب الرحلات
البحرية ولذلك فإنه يحضر مارغريتا وبنابيتيس كلما أرادا زيارته. كلا... لم
أكن قلقة أن أرى كوستاس، كيف اتصل به. وعد بالكتابة لكنه لم يفعل. لم
يبعث رسالة واحدة طوال هذه المدة».

«ربما يكون مريضاً أو مشغولاً بشيء آخر».

«ليس مريضاً... لقد قابلته ابنة عمي، وأبلغها أنه لا يريد أن تظل أصدقاؤه بعد
الآن».

كانت جوليا تلعب بالحصاة وألقت بها في البحر ومسحت دموعها وقالت:

«أفكر في نسيانك والزواج من ستيفانوس».

«لكنك تقولين إن ستيفانوس قد لا يريد الزواج منك...»

«لأنني أخبرته بشيء عن كوستاس سوف يتزوجني...»
«بمطلقاً يحدث بعد ذلك»

«وجدت جوليا شاحبة وقالت بصوت مختنق:

«لا أعرف يا توني، لا أستطيع التفكير، لماذا يمكن أن العلة»

«وشعرت توني بهيولتها عن مساعدتها».

«وإذا كتب لك كوستاس... وإذا اكتشف أنه يحبك فعلاً... هل تستطيعين نسخ
المخطيئة»

«أترك ستيفانوس؟ نعم أعتقد ذلك».

«وهل يسمح لك داروس»

«إذا اعتقد أن كوستاس جاء لأنني متأكدة أنه سيسمح لي بنسخ المخطيئة».

«وانك تدعيتي... كنت أعتقد أن داروس سيسمك على احترام الاتفاق
فالمخطيئة هنا ملزمة تقريباً كالزواج. هكذا يقال لي».

«وأنا كذلك، ولكن داروس نهم سعيدني. إنه عطف جداً ولكنك لست في
حاجة لأن أقول لك ذلك...»

«وعطوف»

«كانت نظراتها محتجة إلى القارب، لكنها استرجعت ذكريات لقاتها الأول مع
داروس... كان فظاً غليظ القلب. وما زال كما هو».

«عاشها بشيء من الأدب الآلي أمام الحدم ولجأ إليها قاعاً عندما كانا منفردين
معاً».

«وكانت توني تحرص على ألا تنفرد به كثيراً، لكنها لا تعيا بلا مبالاة. كان
الزواج ضرورة ماسة ولم يكن أكثر من وضع مؤقت لا تقوم الصداقة بأي دور

فيه».

«أما بالنسبة إلى للمعايشة فكانت توني ترتعد في المناميات النافذة التي تحظر
فيها الذكورة على الإطلاق. كان داروس قد أعلن بصورة قاطعة أنه سيتزوج من
فتاة يونانية تعرف مكان للزنا. وأشفقت توني على هذه الفتاة الجاهولة
التي ستع نقره عليها ذات يوم فلا تنير فيه إلا الرغبة فقط... شكرًا للسبا أن
عينيه لا تنطلقان إليها أبداً بهذه الرغبة. هكذا ذكرت توني عندما نظر إليها

داروس مرة بدون اكترات وهي ترتدي لباس البحر وزرقة على العشب تستنح بالشمس.

لم تكن المشاوشات قد بدأت بينهما بعد لأنه بعد الاسبوع الأول أمضى أسبوعين في أثينا. وعند عودته أحضر معه شقيقته التي تزوره ثلاث مرات كل عام. ولذلك فلم تكن هناك فرصة أمام توني لتبدأ المعاملة التي تعتزم ممارستها كعقاب على كل هذه الاخانات التي عانت منها.

واجه الزورق بسرعة إلى منطقة الرسو. وفي الحال تم تقديم توني إلى مارغريتا وزوجها. ولم يكن أي أحد منها يعرف السبب الحقيقي للزواج.

كانت والدته السيدة بنسوس قد قالت بهذا الوفاق:

ولست هناك حاجة لأن يعرف الآخرون شيئاً عن ظروف زواجكما. فسوف يخلق الفتيات أن تعرفن برغبة جدّ هن في الانتقام.

وكان ابنتها قد وافق على هذا الرأي. كانت توني تعرف أن الأجناد يحظون باحترام كبير في اليونان. لكنها تسألت في دعشة: كيف يستطيع أي شخص أن يحسب مثل هذا الكهول الشرير؟
«سعدنا جداً ببقائكم».

قالت مارغريتا وزوجها وهما يصافحانها. كانت الحيرة تبدو على وجه الاثنين. ونجيت مارغريتا النظر إلى شقيقها وقالت:

«عندما جداً عندما علمنا أن داروس تزوج فتاة انكليزية».

وزيت توني في تيرات وقيلة في ظاهرها فقط.
«ولماذا ألا يجب شقيقكم الانكليزيات؟»

وكانت نظرة واحدة من داروس كفيلاً بأن تعيدها إلى انزائها وتجنّبها مثل هذا التهور.

وقالت مارغريتا بسرعة:

«بالطبع إنه يجب الانكليزيات. فهو ليل كل شيء تصف انكليزي».

ولاحظت توني الصلاة التي بدت في عينيها عندما سمع أخته تصف بأنه تصف انكليزي. كان يونانياً أكثر... هكذا قررت توني وهي ترى جانب وجهه الجامد الداكن عندما التفت ليقرّر شيئاً لزوج أخته. وبدأت تسأل ترى هل

صاحبه زواج أمه الذي فرض عليه هذا الدم الانكليزي البقيس؟ وفي تلك الليلة تلقت توني أفضل معاملة يمكنه من زوجها أثناء العشاء ومع ذلك لم تبد منه أي حركات تتم عن عاطفة ولا حظت أن مثل هذه الحركات غير متوقعة. كان اليونانيون يتزوجون زواج مصلحة ولا يعتبرون إظهار العواطف نحو زوجاتهم أمراً ضرورياً.

وبعد بضعة أيام سافرت مارغريتا وزوجها إلى أثينا واصطحبا معها جوليا، تاركين توني وداروس وحدهما. وبعد أن أقاما معاً نحو أسبوعين كغربة. أحست توني بالملل لدرجة أنها قررت أن تبدأ رحلاتها إلى جزيرة أو جزيرتين. لكنها تسلمت رسالة من والدها جعلتها تقرر العودة إلى بلدها. وأرجأت بذلك رحلاتها.

وألمحت زوجها لثالث:

«والدي يريد رؤيتي. ولذلك فقد قررت أن أمضي شهراً كعطلة في انكلترا. ولأول مرة شعرت بالاعتماد في تعبيراته. ولم يكن صعباً عليها أن تستشعر الارتياح الذي بدأ عليه للتخلص منها لفترة».

وكان رده السريع تأكيداً لما استنتجته توني إذ قال:

«أنا فكرة مناسبة جداً. الحياة هنا تبدو ومملة لك».

وردت لثالث:

«إن ما نقره أقل من الواقع. الحياة هنا لا يمكن أن تكون أكثر مللاً مما هي عليه هنا».

ورفع حاجبيه وسأله:

«ولكن ما الذي تتوقعين أن افعله؟ لست هنا لأوفر لك التسلية والتربية».

وبدا عليها الغضب. معنى هذا أن هذا الشاب المنفطر لا يعنيه أن حياته تصبح حياة في انتظار وفاة ذلك الثالث الخفيف

وقالت وهي تكشف عن أفكارها:

«جوليا أبقى في الخارج لفترة أطول».

وقال داروس في هدوء:

«إن شهراً واحداً هو أقصى مدة لك».

وردت عليه في طيبة أكيدة محاولة إلهامه أنها ستبقى في الخارج طلياً ونبت
في ذلك.

ولكنه استطرده مسرعاً، عندما فرقت من كلامها:

«لا أستطد ذلك... لأن جدي يعتزم القيام بزيارة لنا في نهاية الشهر المقبل وهو
يتوقع أن يجلب هناك».

«وإذا لم يجلبني؟»

«إنها رجيت أن يجلبك هنا في اليونان لا يسمح للزوجة بأن تغادر بيتها حسب
رغبتها. ولكن أن يتبر غيبالك بعض الشكوك بأننا تزوجنا فقط لأجباب خططنا».

«وما الفرق؟ إنني مثرت زوجتك. ولذلك فإني أرجح ألا يقرر فجأة أنني ينبغي
أن أقتل».

«رأيت شبح التحذير في عينيه».

وقال داروس في حلق:

«لا أريد أن أجازف بشيء. وينبغي عليك أيضاً ألا تجازف بشيء إذا كنت تفكرين
بتفعل».

«استطاعت توني أن تكبح جراح غضبها وقالت:

«سوف أفكر في ذلك».

«ستطعين ما أقوله».

«واند هتت من هذه العبارة، وحدثت في وجهه قائمة:

«يجب أن أحذرك يا داروس. إنني أفعل ما أشاء. وإذا أردت ابتلاء في الخارج
سوف أبلئ».

«وصمتت برهة ضالت عينا زوجها. وكان منظره يحفرها. واستطردت بسرعة:

«أريد بعض المال لتغطية نفقات السفر».

«ورد في ذهني».

«ترينين تلوأ متي».

«بالطبع، وإلا فمن اطلب».

«وشعرت توني بالتوتر حتى قيل أن يتكلم وقال:

«ذاك لن تحصل على نفقات الرحلة الجوية متي. لديك المبلغ الذي تنفاسينه

شهيراً. وإذا كنت تعتزمين القيام بزيارة لانتكلترا، فالمفروض أن تدفري هذه
الرحلة. لا يفتاني. ينبغي ألا تطلي تقوفاً متي أبداً».

«أحسب توني بإعانة بالغة وحدثت في حاتين العينين القاسيتين وقالت:

«أبداً... ولكنني أعترم السفر».

«وضع يده على فمه حتى لا يتشاب وقال:

«سأفري بكل ارتياح إذا استطعت ذلك».

«أثارت الحركة غضبها وصرخت قائلة:

«ولكنني لن أستطع روية والدي إذا لم تعطيني المال».

«لم تفسح توني في اعتبارها أبداً أنها ستواجه صعوبة في ذلك. وكانت تعتقد
أن الحصول على المال منه هو جزء رئيسي من خطتها للانتقام. واستطردت قائلة:

«أرسلت رداً على رسالتها مؤكدة اعتزامي زيارتها».

«وأضافت وهي ترتعد غضباً:

«هويتين عليك أن تعطيني مائة».

«وقال داروس ملتزماً بالصمت في فتور. ومضت توني تقول في نبرة أكثر
هدوءاً:

«ليس لدي مال على الأقل ليس هناك ما يكفي لتغطية نفقات الرحلة الجوية».

«كان داروس قد انطلق غشالاً صغيراً فياً. وأخذ قطعة ناعرة من الشحف التي
لديه محاولاً الظهور بأنه لا يهتم بشيء. وأنه لن يقبل مزيداً من النقاش».

«وضربت توني الأرض بقدمها، لكن سرعان ما ندمت على هذه الحركة
الصبيانية عندما رأَت عيبيه تتقلان من التمثال في يده وتتطلمان اليهاني

«احتقر شديد. وشعرت توني بالغضب لأن هذا الرجل القبيح يستطيع أن
يحفرها ويشعرها بالهانة وقالت في حنة:

«لديك أموال كثيرة، مائة جنيه ليست شيئاً بالنسبة اليك».

«ونظر إليها ودمع في ثورات متكاسلة ولكن خطيرة:

«كوني عاقلة يا توني. لا تنهي هذا الأسلوب معي. عندما أقول شيئاً أعني ما
أقول. إنني أرفض إعطائك المال... وهذه هي كلمتي الأخيرة».

واحد. توني أن مشاعر الغضب ستختفيها. لكنها ظالتت نفسها وهي تقول لي حق:

«ولكنها ليست كلمتي الأخيرة، وعدت والذي بأنني سأزورها. وسوف أفصل ذلك. إنها يتطلعان إلى رؤيتي. ولن أحب رجلاها».

«انن عليك أن تستخدمني بعضا من مبلغ التسمية الذي حسبت ان تحصل عليه».

«لا أستطيع! أقصد أنني لن أفس هذا المال».

كانت توني قد أرسلت ذلك المبلغ إلى الخارج وكانت تأمل أن تساعد والدتها في التغلب على الالاس.

وبدا الغضب في عيني داروس. كانت في نظره طاعة بخيلة وهذا ما يمتنى تماما مع رأيه في النساء الانكليزيات.

ورد داروس وقد بدا عليه الملل:

«في هذه الحالة ليس هناك خيار لك الا أن تتنازل عن عطقتك».

واعترفت توني في نهاية الحوار بعد هذه العبارة القاطعة منه أن خطتها للانتقام منه سوف تواجه بعض المصاعب. نظرة واحدة إلى ذلك القم والفك جعلتها متأكدة أن زوجها لن يلين. ولو كان ذلك حتى من أجل أن يتبعد عن وجهه للمرأة ما.

واحر وجهها بالغضب وغية الأمل. كانت النتيجة الوحيدة أنها أصافت لحة من الرضى إلى ذلك الوجه المتخبط. ولما دوت الغرفة بسرعة. وكانت تفكر: إذا كان داروس قد امتنع عن دفع نفقات الرحلة الجوية إلى انكلترا، فكيف ستحصل منه على النفقات الباهظة لرحلاتها الأخرى التي كانت تعتزم القيام بها. لا بد من إيجاد طريقة لارغامه على ذلك.

وفي اليوم التالي، حجزت تذكرة لرحلتها الجوية في شركة الطيران في رودوس وبعد أن سلبتها الموظف تذكرتها قالت:

«أرسل فاتورة الحساب إلى زوجي».

وابتمست ثم أخرجته بطاقة داروس وقدمتها للموظف. ونظر الموظف في

احترام بالغ. وقال:

«ياك أكيد يا سفتي».

وبعد يومين كانت توني في برمتهم مع والدتها. ومن هناك الميحت إلى دورسيت كلفتي بشقيقتها وأولادها.

وقالت شقيقتها:

«إنه شيء رائع أن أراك. إنك تبدين في حالة طيبة، دعشتا جميعاً عندما سمعنا بزواجك. لا بد أنه كان الحب من أول نظرة».

حيث ذلك بسرعة. ما رأي والدك في هذا الزواج».

كانت توني تستمع إلى استفسارات شقيقتها وهي ترى مظهر الفقر التي تحيط بالمكان الذي تقيم فيه. لا شك أنها تواجه متاعب كبيرة في تربية صغارها الثلاثة. فالمشكلة أنها لا تلقى أي مساعدة حتى من والدتها.

وردت توني:

«كانا سعيدين بزواجي».

الواقع أن هذا كان صحيحاً. فقد كانت توني تتمتع بالحكمة والاعتزان ولم يتصورا لحظة واحدة أن زواجهما لن ينتج.

«يا سفتي».

كانت توني تشعر أن كل أفكار بام مازالت ترتبط الآن بزواجها لرائك

الذي تولي وهو في الخامسة والثلاثين شخصية الجملطة الدعوية.

كان زوجاً رائعاً. وكان يحبها كثيراً.

وسألها توني:

«كيف حالك، كيف تبدين أموروك».

كانت توني تتحدث إلى شقيقتها وهي تجلس بالقلع عندما شاهدت بام تقوم يرتق جوارب أبنائها التي بدت في حالة غير قابلة للإصلاح.

اعتادت توني أن تقدم لشقيقتها ولصغارها الملابس والمدايا. لكنها كانت تحرص دائماً على ألا يفهم أنها تقدم هذه الأشياء كمعونة لها. وألاً وقضتها بام.

كانت لها كبرياء شديدة. والواقع المهدف من زيارتها لأهلها هو تقديم مزيد من

لغدا يا لم. ولم تكن توني تعياً يكشف الحساب الكبير الذي سيتبعه
داروس قريباً من المتجر بالإضافة إلى فاتورة حساب الفاتورة الجوية، هذه
الأموال كلها سوف تسدعها إلى داروس. أما الآن فيها تشعر بالصدمة كلها
لحيات الصدمة التي سيصاب بها داروس وهو يتسلم كشف الحساب لا بد أنه
سيحترق حينئذ. حين الوقت لنزل هذا المتجر من برجه العالي

وقالت بام:

بالبها مشكلة صعبة يا توني. خلال أسبوع واحد سيكون كل الصغار في
عطلة لهم المدرسية. ومعنى ذلك أنني لا بد أن أقفل عن عملي لرعايتهم. وسوف
يحصل شخص آخر على هذه الوظيفة وعلى بعد ذلك ان أبحث عن عمل آخر في
سبتمبر أيلول.

وردت توني عابسة الوجه:

«ألا يحتفظ صاحب العمل بوظيفتك؟»

«لا يستطيع. إذ كيف يفكر على ذلك لمدة ستة أسابيع؟»

«أليس من الممكن له الحصول على مساعدة مؤقتة مؤقتة حتى عودتك؟»

«ليس من العدل أن اطلب منه وبالإضافة إلى ذلك من الذي سيقبل العمل
لفترة قصيرة كهذه؟»

وهزت رأسها في استسلام وهي تقول:

«اعتدت على هذا التغيير غيرت وظيفتي مرتين في العام الفاتت ألا تذكرين؟»
«لقد عرفت أنك غيرت وظيفتك ولكني اعتقدت أنك انت اخترت ذلك. لم
تذكرني أبداً هذه اللصاعب في رسالتك إلي! وما الفاتدة؟ لو وجدت شخصاً يعول
رعاية الصغار خلال عطلة الصيف ولكنهم أطفال جائعون. يصعب السيطرة
عليهم في كثير من الأحيان ومع عدم وجود رجل في البيت لا يبالى الأولاد بالأمر».

وسكنت بام وهزت كتفها في يأس. لويس لا تقل عن أخرها شقوة وهذا
شيء متوقع فهي دائماً في صحة ولدين. وتهددت بعين وقالت لا يمكن أن أفتح
أعداً برعايتهم. ثم مدت يدها لتأخذ قهوة الجوزب الثانية وطورتها مع الأخرى
والتفتت قيصاً... كانت يافته بالية وكانت تريد أن تقلبها حتى تقضي الجز

البقي تحت.

وترات فكرة لتوني:

«فلماذا لا ترسلين الصغار إلى والدتي لرعايتهم. لو أخذتهم والدتي سيكون من
الممكن أن تأخذي أنت نفسك عطلة أسبوع حتى...»

وهزت بام رأسها بالنفي...

«يصعب على والدتي أن تبقى في المتجر. أخذتها الأموال التي بحثت بها إليها.
ولكنها لا يقدران على مواجهة نفقات إحصار مساعد معها. ولو حتى لفترة. كلا،
إن والدتي لا تستطيع تحمل رعاية الصغار».

«نعم أعتقد أنك على صواب».

وجاءتها فكرة. ولدت عينا توني. بلغا من صدمة متصيب زوجها الفروا

«سوف أخضعهم معي عند عودتي لمدة ستة أسابيع»

وجدت بام في وجه شقيقها بدون أن تصدق ما تسمع:

«أنت، ولكن زوجك، لن يقبل وجود ثلاثة أطفال مثل هذه الشقوة في بيته لمدة
ستة أسابيع كاملة».

وردت توني:

«اليونانيون يهيئون الأطفال، أنا متأكدة إن داروس سيسعد جداً ومودعهم»
أما توني فكانت تتصور الوقت المزدحم الذي سيتعرض له داروس أثناء
وجودهم. كانت هذه الفكرة تعيق إلى عينيها بريقاً يزيد بها جلاءً. أما قلبها فكان
متشوقاً بشاعر الانتقام. نعم إن داروس لا يميز لن يشعر بالعيق كما يشعر
خلال الأسابيع الستة المقبلة

ووجهت بام حديثها إلى توني:

«لكنني قلت لك إن هؤلاء الأطفال لا يمكن السيطرة عليهم أبداً في بعض
الأوقات أشعر بالهول إذ أشكك حتى في أنهم مرسومون للاندماج».

وضحكت توني:

«غير مطول... صحيح إنهم أطفال أشقى... لكنني لم أخطأ أنهم يحتفون أبداً
عن غيرهم من الأطفال في مثل أعمارهم»

وأنا قلقة يا توني... لا شك أن زوجك سيفضبك منك. أنا متأكدة من هذا. لعني بالفت في تدليلهم بعدما فقدوا آباءهم. فأصبحوا جاهلين لا يمكن السيطرة عليهم.

وليس هناك ما يقلق... سوف أخذهم معي وأعيدهم إليك معفتاح المدارس في شهر سبتمبر- أيلول. وتستطيعين أنت الاحتفاظ بوظيفتك.

هوانظقت يا توني! تصوري كم ستكون هذه الزيرة. ومن سيقطع كل هذه الأموال؟

«داروس. يستعد جداً أن يدفع كل شيء. تؤكد لك ذلك»

«لن تستطيعي السيطرة عليهم»

«كلها كانوا أكثر شقاوة كلها أجيبتهم أكثر»

«لا يمكن أن تفرضي أطفالاً على زوجك بدون حتى أن تعلميه»

ولكن ذلك هو بالضبط ما كانت توني تعزيمه. فسحبت كل مدخراتها من مكتب البريد. وحجرت تذاكر ذهاب فقط وبعد أيام قليلة اصططحت الأطفال الثلاثة معها إلى بيتها في ليندنس.

كان داروس خارج البيت عند وصولهم. ولكنه حضر بعد الغدا. ولم يعرف على الفور بوجود الأطفال الثلاثة لأنهم كانوا على الشاطئ. إلا أنه غير الحديثة حيث كانت توني جالسة في مقعدها تقرأ. وكان الغضب يتفجر من عينيه:

«هل يمكن أن أعرف لماذا تكتفين كتشف الحساب باسمي. ماذا تصدين بذلك؟»

ورفعت توني نظرها إليه. كان يحاول قمع غضبه لكن توني استعدت لكل ما يمكن أن يحدث. ونظرت إليه في هدوء وقالت:

«تقصد أجرة السفر بالطائرة. أبلغتك أنني مسافرة إلى انكرا. ونعت بالفعل. تصرفت طبقاً للقانون لأنني كنت أريد أن تفهم أنني لن أسمح لنفسي بأن أكون خاضعة لسيطرتك بأي شكل. لقد رغب في رؤية أمري. وأنت باعتبارك زوجي كان يجب أن تعطيني المال بدون مناقشة. كان يمكن أن تعطيني هذه النقود لقد اضطريت أخيراً أن تدفعها...»

«هل فكرت في المخرج الذي سيته في تصرفاتك... أعدت قائمة الحساب في يدي. الأمر إلى اقتدر قائلاً إنها لا تخصني... وأنت المدير لعدم كفايته»

وكادت توني تنفجر ضاحكة عندما أدركت ما حدث له من حرج وقالت: «ولو دفعت نفقات سفري بالطائرة، لما حدث أي شيء من هذا. تصرفك لم يكن حكيماً... ولكنها قلت لك اضطريت لدفع نفقات سفري في نهاية الأمر»

وسادت فترة من الصمت. قطعها داروس بقوله:

«إنك تدينين متأكدة تماماً من أنه يتعين علي أن أدفع في نهاية الأمر»

وقبل أن تظن توني أنباء أسوأ وأخذ يهرجا بعنف ودفعها بقوة إلى المكدد وشعرت بجسمها كله يرتعد وقال:

«الأموال التي تدينين بها لي الآن سوف تسدد من الحصة المخصصة لك. ولن تحصل على شيء إلى أن تسدي بالكامل كل مديونتي إن حصلتك سوف تتوقف»

«توقف حصتي. لا تستطيع»

لماذا لم تفكر في مثل هذا الاحتمال؟

ونظر داروس إليها نظرة المتعجب وهو يقول:

«أوقفت تخصصاتك لعللاً. وسوف يملك البنك عندما أعطيه تصريحاً باستئناف دفع حصتك من المال»

«لن أستطيع أن أتدير الأمر. أنا في حاجة إلى بعض المال. كنت أعزم تسديد فاتورة لشجر مجرد أن أسلم تخصصاتي في الشهر المقبل»

وأطلق داروس ضحكة قصيرة وقال:

«هناك متسرعة التفكير سوف أمتهلك هذا المال. تسدين فاتورة الحساب؟ هل تتوقعين أن أسقي أنك كنت تتزيمين إعادة تسديدها إلي. كيف أنظقت هذه الأموال؟ أم أنه ليس من حلي أن أسأل؟»

«اشترت هدايا لأولاد شقيقي ولذا كنت لا تصدقني فلن يحني ذلك»

«أولاد شقيقي؟ لديك شقيقة إذن؟»

«نابا أرملة. ولا تستطيع إعانتهم. اشترت بعض الملابس والأحذية لهم»

ولج النمرع فلا عيشها فأدارت وجهها بسرعة. كيف تستطيع أن توفر للأطفال عظمة ممتعة بدون نقود وأغصت توني أنه يجب عليها أن تتنازل عن عزة نفسها وأن تطلب منه أن يقرضها بعض المال... وعندما دنت بأن يتحدث عن ذلك سمعت أصوات الأطفال تقترب... ولجأة ظهر الصغار الثلاثة في الحديثة

يركضون ويصرخون وهم يمارسون لعبة الخنود الحمراء

وصفق داروس أنه يواجه عاصفة هوجا، وسأل روبي الصبي الأول الذي توقف عن الركض.

وملأ فمها هذا أخرج من الحديقة فوراً... أين يقم هؤلاء الأشرار.

وددت لويس الصليحة.

«إننا نقيم هنا... من أتت؟ هنا بيت خالتي توني.»

وكانت لويس لا تقل وقاحة عن أخوها.

وعنه.

قال داروس: هذا والتفت إلى زوجته التي تعبت النظر إليه.

«هل أحضرتهم معك؟»

ولم تستطع توني الكلام في أول الأمر لكنه أدار وجهها بحركة سريعة

وبل مسكاً بذاتها حتى قالت:

«أحضرتهم معي، حتى تستطيع بام أن تستمر في العمل أثناء العطلة

للدرسية. وسوف يبقون معنا مدة أسبوعين.»

قالت هذا بشيرة تحد وقد استرعت شجاعتها.

بني داروس صامتاً. وكان كل انتباهه منصباً على توني التي وجدت

لنفسها - رغم تصميمها على مواجهة أي شيء - تهازل من أجل الاحتفال

بقربها على التصدي له.

كان الأطفال الثلاثة يفتون في الحديقة وكان ديفيد ينظر إلى داروس

كأنه هو الذي تحدي على ممتلكاتهم. أما روبي فقد أخرج له لسانه. وأجست

توني بالفزع، ونهضت عن كرسيها وظلمت إليهم أن يدخلوا البيت.

ودخل الأطفال الثلاثة إلى البيت، وساد الصمت لفترة، ثم تحدث داروس في

نبرات عذبة خاطرة:

«أريد إلهاماً لذلك من فضلك.»

وبللت توني شفتيها وقالت:

«قلت لك إنني أحضرتهم معي حتى تستطيع شفتي أن تعمل أثناء العطلة

للدرسية. ولولا ذلك كان يتعين عليها أن تترك وظيفتها، وهي لا تقدر على ذلك.»

وسألها جديده:

«هل تحاولين إقناعي بأن بواعثك على هذا التصرف لا تنصم بالاثباتية.»

«بالتأكيد إنها بواعث غير أنانية.»

«لا تكذبي! أحضرت هؤلاء الأطفال لضايقتي؛ إنني لا أفهم لماذا تمارسين هذه

اللعبة التي تنصم بالصداقة ولكنني أحترك: إنك تتعاملين مع الرجل غير المناسب.

لست واحداً من الانكليز المثاليين...»

«هل ليحروا على إهانة الانكليز؟ إنهم أفضل من أي أناس تعرفهم؛ وهم أزواج

أحسن بكثير منكم! إنك بالنسبة إلي لست سوى اجنبي مغرور، ولئن أسمع لك

بإهانة الشعب الذي أنتهي إليه... ويجب أن تكون حريصاً فيما تقول في المستقبل.»

كان وجهها ساخناً وبداها متبقيضين ولم تسترده هدوءها عندما رأت وميض

الدعابة في عيني زوجها. وقالت لها:

«اسمحي لي يا توني أن أقدم لك نصيحة طيبة، لا تحاولي اختيار قنبرتي على

الصبر أكثر من ذلك. صديقي أن صبري لا يمتد إلى الأبداء التي تتصوريتها.

وابتعدت عنه توني وهي تقول إنه ليس زوجها ليس له سلطة عليها.

وتهددته لا تخيفها. ومضت تقول:

«لأن أخشاك حتى لو كنت زوجي حقاً.»

وكانت تعني ما تقوله برغم أنها اعترفت لنفسها بعد لحظات من التفكير أن

هذا الأجنبي الأسير يستطيع إثارة المتاعب لها.

حقاً أنها لا تخشى شيئاً. إنها لم تقم بالخوف عندما واجهت الموت. ولذلك فمن

غير المحتمل أن تفقدتها تهديدات هذا الرجل ما تمنع به من ثبات.

وبعد فترة من الصمت قال داروس:

«هكذا فانا لست زوجاً حقيقياً لك؛ أخبريني ما الذي تقصدينه فعلاً بذلك! أذكر

أن زواجنا كان قانونياً.»

«كان داروس جزءاً بها. وظلت صامتة. لم تكن كلماتها كافية للرد عليه،

وتصورت أن توجيه صفة إليه سيجعلها أكثر لربها. واستطرد داروس قائلاً:

«وانا زوجك فعلاً، من سوء حظي، ولو لم يكن شقيقك سابقاً فائلاً لما حدث شيء»

من هذا.

وكاد غطسها بحلم كل المدة. وقالت:

«كيف تجرؤ على توجيه النوم لأخي. إنك لو لم تكن تحب جنك بهذا الروع المجنون لما حدث كل ذلك. هذا الرجل يجب أن يحتجز في مستشفى المجانين».

ودعشت توني عندما ضحك داروس قائلاً:

«وهكذا وصل بنا الحال إلى أن تبادل الشبان وأنت تقولين إننا لسنا متزوجين»
وتخبرت نيرة صوته وهو يقول:

«لكنك لم توضحي لي ماذا تفصدين عندما تقولين إنني لست زوجاً حقيقياً لك»
وأنت تعرف جيداً ما أعنيه».

«من السهل جداً تصحيح هذا الوضع. ولذكري ما حدثك منه... لا تغير بني أكثر من ذلك».

وجف حلقها وحاولت توني أن تهدئ من نفسها وتذكرت أن اليونانيين من أكثر الشعوب ميلاً إلى الغرل والحب. وأن زوجها لا يختلف كثيراً عنهم. ولذلك يتعين عليها ألا تجازف بشي فقد يصبح وجود زوجة معه بمثابة إغراء لا يمكن مقاومتها ذات يوم.

وقالت بصوت يشوبه الخسوع:

«الأفضل أن أذهب إلى الأطفال. إنهم ينتظرون الشاي».

وردة داروس في نبرة حاسمة:

«شاي في الثانية بعد الظهر! لن يبقوا هنا... هل تفهمين ذلك»!

وقفز قلبها لكن ما لبثت أن هدأت وقالت في تحد:

«ولكنهم أقربائي وسوف يبقون هنا. أسفة لاحداث تغيير في نمط حياتك الروتيني الهادئ. لكن حاجة شقيقتي أعظم من حاجتك».

وردة في إصرار:

«سوف تبعدين هؤلاء الأنثيا من هنا. وبسرعة».

وانتهى إلى الباب.

وقالت:

«هذا مستحيل حتى لو أردت أنا ذلك. فليست هناك أموال لتفقات سفرهن».

واستدار داروس يهدو ونظر إليها وهو لا يصدق:

«هل حجرت لم تذاكر ذهاب لقطاة».

«لم تكن لدي أية أموال غير تذاكر العودة. ولم يكن لدي شقيقتي أي مبلغ للمساهمة في ذلك».

وارتست ملامح القبط على وجهه وهو يقول:

«لديك خمسة آلاف جنيه مدخرة في مكان ما. استخدمي بعضاً منها».

وفي هذه اللحظة تركتها وانتهى إلى الحديقة تاركاً إياها تفكر فيما دار بينهما.

واعتبرت توني رغبها عنها بأن كليته أثرت فيها. وأدت إلى إشاعة الشائعات في نفسها. وإلى الاعتقاد بأن جميع خططها للانتقام منه لا يحتمل أن تنجح.

٤ - ثمار القسوة

بعد فترة من التفكير والتروّي، استعادت نوني رباطة جأشها، ما الذي يمكن أن يفعله زوجها؟ لن يستطيع إخراج الأطفال من البيت، ولذلك من الواضح أنهم يستطيعون البقاء. لكن عليها قبل انتهاء الأسابيع الستة أن تفكر في طريقة للحصول على نفقات عودتهم. ومن تذكرتها هي أيضاً لأنه عليها أن ترأفهم. ربما تستطيع الاستئانة من والدتها، نعم ستكتب إليه بعد فترة، لكنها لا تعرف كم سيضي من الوقت قبل أن تستطيع سداد هذه النفقات، يا لها من ورطة أوقعت فيها نفسها نتيجة رغبها المجنونة في الانتظام من داروس بسبب الاهانات التي وجهها إليها... كان من الأفضل أن تنسى هذه الاهانات، لكنها لم تأبأ لاحضار الأطفال معها. كانت بام متعبة وكانت بالتأكيد منهارة إذا لم تحصل على الراحة. وفجأة بدا لنوني أنه من الظلم أن يملك داروس كل هذه الثروة في الوقت الذي تشعر فيه بام بالحاجة الشديدة... لو كانت هناك طريقة لتأخذ بها قدرًا صغيراً من أموال زوجها وتنقلها إلى بام. ولكن لم يكن من الحكمة التزوط أكثر... تأكدت الآن من صلابة داروس ومن الحفاقة ألا تستطيع من الدرس الذي تلته.

وعندما اقتربت نوني من البيت سمعت أصوات الأطفال يظليون ماريا بإعداد الطعام لهم. كانوا يوجهون إلى المرأة وقاحات شديدة لم تكن قادرة على تفسيرها أو فهمها، لأن نوني كانت تسمعها تتحدث إليهم باليونانية. ولا تعاملوني بهذه الرفقة. وسوف تأكلون في الوعد المناسب وليس قبل ذلك..

أخرجوا من مطبخي الآن كلكم. إنكم قصابة من السفاحين. وإذا لم تخرجوا في الحال سأستخدم معكم المكنسة...»

ورد روبي في صوت مرتفع يدل على السخريّة:

«ماذا تقول هذه المرأة... إنها لا تستطيع أن تتحدث الانكليزية»

وأصاحت نوني وسعدت لويس تقول:

«أعتقد أنها قالت سوف تظاردني بالمكنسة. لأنها أشارت إليها. ما رأيكم... هل تجعلها تظاردنا؟ سيكون هذا متعة كبيرة»

ورد ديفيد:

«تظاردنا، إنها سعيدة جداً ولا يمكن أن تجري يلودة واحدة».

وصرخ روبي:

«أنت على حق، إنها كالغويان البدين».

وسارت نوني إلى المطبخ. ووصلت في الوقت الذي كان فيه الطفل يتبرع غضب المرأة، وينظر إلى داروس نظرة جريئة، ثم صرخ صرخة مدوية وحذقت نوني في «داروس» وقد حضرت على عجمل - وهي تقول:

«ضربت... كيف تجرؤ على المسلس باین شقيقتي؟»

«ما فعلته ليس الألفضة... وفي المرة المقبلة سوف أضعه على ركبتي وأضعبه».

وتنظر إلى الآخرين وهو يقول:

«هل ترغبون في تجربة ذلك؟»

وهز الصبي رأسه واحتس خلق ظهر خائنه.

وتظرت لويس إلى خالتها وهي تقول:

«لا... إنني لا أحب هذا الرجل. اطلبي إليه أن يرحله».

وردت نوني:

«يا عزيزتي هذا منزله».

وقاطعها داروس في حق:

«أنتم الذين ستدخلون إلى منزلكم. والآن عليكم أن تدخلوا إلى الغرف التي خصصت لكم. ويجب ألا تحاول أحدكم النزول إلى هنا بدون إذن. ماذا تنتظرون؟»

واستقرت لوريس.

«هل يتعين علينا أن نفعل ما يقول يا خالتي؟»

«أومأت توني برأسها.

«ولكن الشمس ما زالت ساطعة في الخارج ونحن نريد اللعب على الشاطئ...»

وحاولت توني أن تبدو جادة وهي تقول:

«اصعدوا جميعاً إلى الطابق الأعلى...»

وقال داروس في صوت مرتفع:

«اطيعوا ما أقوله فوراً... ولا شيء آخر».

وجعد الأطفال السلم في صمت.

والتفت إلى توني وقال:

«أما أنت فأعتقد أنك تستحقين أيضاً الحبس في غرفةك».

واندفع النم إلى وجه توني. كان هذا الرجل بالتأكيد أكثر إنسانية من الزوج

الصامت الإلهي الذي عرفته. وثكنته في الوقت نفسه كان يثير فزعها. من يلقي

لعله لا يتردد في نشية تهديده. هذا ليس بعيد الاحتمال وهو في مثل هذه الحالة من

الغضب الشديد وخاصة إذا ارتكبت حماقة أثارت غضبه أكثر ونسبت وجود

جذامته وأخيراً استدأر وانصرف ولكنه أمر توني أن تلحق به في غرفة جلوسه.

«أغلقي الباب».

وأطاعته توني في هذه.

وجلس داروس على مقعد وتركها واقفة. وهو حزين لا بد أن يشعل غضبها

الذي استشاط بالفعل بعدما طلب منها بفتور غلق الباب. وأستد ظهره إلى

مقعده وهو يقول:

«أرجو أن توضحي لي ما أراه. بقيت أفكر خلال الدقائق القليلة الماضية في هذا

الموقف لكنني لم أجد سبباً معقولاً واحداً لكل هذه المحاولات التي تجعل منك

عاملاً مزعجاً».

سبب معقول! واللعظة شعرت برغبة في أن تقول له الصديق: أن تخبره بأنه

كان على حق في كل ما قاله. ولكنها دارت الرغبة. فلم تكن قد فعلت قاماً عن

ذكورة عقابه. وردت قاتلة:

«كلا... إني لست مزعجة. أردت أن أعود إلى بلدي. ورفضت أنت إعطائي

نقابات السفر».

«معك خمسة آلاف جنيه. ماذا فعلت بهؤلاء

ثم استنارها».

لم تكن هذه كذبة. حسناً. كانت مجرد كذبة بيضاء. هكذا قالت وهي تحاول أن

تهدي نفسها.

«ولكنك تستطيعين سحب مبلغ منها».

وهزت توني رأسها وقالت:

«كلا إني لا أستطيع سحب شيء منها».

«لا أصدقك، إنك تدخرينها. على أمل الحصول على المزيد مني ولكن لا تفكري

في ذلك يا فتاتي. لست من الانكليز النابلهين كما قلت لك».

واشدة دهشتها وجدت نفسها تقول:

«داروس... أرجو ألا نعيد ما حدث من قبل... إني لا أريد التشاجر معك».

وقاطعها:

«إنك تدعشينني. كنت حتى الآن تحاولين إثارتني والشجار معي».

«غير صحيح. لم نتحدث إلى بعضنا البعض حتى هذا اليوم».

وسكنت وقد احمر وجهها بينما رقع حاجبيه ثم قالت:

«شعرت بالغضب فقط عندما امتنعت عن إعطائي مبلغاً من المال لتغطية نفقات

رحلتي إلى انكلترا. ثم اعترفت برفقة شاجرا وفتها».

وعاد داروس إلى الحديث مرة أخرى عن موضوع سحبها بعض أموالها.

«يجب أن تفعل ذلك. لأن هؤلاء الأطفال لن يبقوا في منزلي لحظة أكثر مما هو

ضروري».

صأبلي عليهم هنا طالما أردت أنا ذلك. هذا منزلي في الوقت الحاضر. ولذلك

فإنني سأطلب من أمركي أن تزورني. وأعتقد أنك تشعر بالقلق لأن الأطفال ربما

يشاققون جيك عندما يحضر إل هنا. إني بإخلاص أرجو ذلك. لأنه يستحق

بعض العقاب على ما فعله بي».

«جدي يتوقع أن يضي أياماً مائة هنا. وفي أي حال. سواء حضر أو لم يحضر لن

أرض بوجود هؤلاء الأطفال اليتيمين في منزلي.

«سيرحلون بعد ستة أسابيع».

ورد يهوه:

«يهو أنك نسبت إنذاري لك يا توني، اسمعي نصيحتي، وأبعثهم خلال يوم أو يومين».

«لن أفعل ذلك، وحتى لو قررت أن أفعل ما تأمر به فإنني لا أمطك لقفلات سفري».. «أبليتك بذلك من قبل».

«وخلال هذه الأسابيع الستة - هل ستكون لديك الأموال».

«والذي سيفرضني».

«ولذا لا يستطيع إفراخك الآن».

«وحياتك معها وحملت فيه في غضب».

«ولم أطلب منه بعد».

«إفنت... الملمي ذلك في برقية».

«إن الأطفال سيغنون هنا لأن شغفتي تحتاج إلى العمل، ولن تستطيع ذلك إذا تواجد الأطفال في البيت... وعلاوة على ذلك لسوف تفقد وظيفتها إذا طلبت إجازة».

«وتتهد في غضب».

«لو كنت تهتمين بشغبتك هذه، فلماذا لم تعطها بعض الأموال التي طلبتها مني».

«للم تكن لتطلبها لأنها عزيزة النفس جداً».

«ولذلك فإنها تستطيع أن تكون في عيوز».

«إنك تشغص بنفسك».

«ألا تستطيعين سبلان نقاصي الآن؟ الأمر الملع هو أن تتولي أنت رعاية هؤلاء الأطفال».

«ونظراً إلى وجهها طويلاً ولم تستطع توني رغم قراراتها أن تتخلى فزعها الذي كان يزحف في بطنها».

«ولم كنت عرفتني لفترة أطول لأمركت أنني أعني ما أقول، انصغي الآن، وعندما

تلقي مرة أخرى أرجو أن تكوني تلتذت أولمري».

«وخلدت توني الغرفة وهي تحترق غضباً، فليذهب إلى الجحيم، وكانت

عازمة على ألا تلهل شغبتها، وانجهدت إلى غرفة الأطفال، وأدعشها ما رأت، إذ

غير الأطفال عن امتثالهم من منطقة البيت بتصرفات تتسم بالفوضى قاعداً كل

كل شيء في الغرفة صيغراً، ألقوا الماء على الجدران، داسوا على فرش السرير،

خطوا الأباغورة النجسة وألقوا بها على الأرض، ووقفت توني لحظة لا

تستطيع الكلام، ثم انفجرت غاضبة وقالت:

«حذرتي والديكم مما كانت تتوقعه منكم، ولكنني لم أصدقها، وكانت على

صواب، إنكم ثلاثة من أوفج الأطفال الذين شاهدتهم، وأنا فعلاً أسفة

لأحضاركم معي».

«وقال روبي:

«نحن أيضاً نشاركك الأسف... لقد ضربتني ذلك الرجل».

«وصرخت لويس... وأريد العودة إلى بطني... أريد العودة الآن».

«لن ترحلوا الآن، ولن تفعلوا ذلك قبل مضي ستة أسابيع، ومن مصلحةكم أن

تسلوكوا سلوكاً حسناً طوال هذه المدة».

«وانفجرت لويس باكياً، وحاولت توني أن تهدئها من روعهم فقالت:

«فلتعمل معاً لتعيد التنظيم إلى هذه الغرفة».

«ولم تشرك لويس، ولاحتظت توني إصرار وجهها، ربما تكون صريضة، وكانت

لويس صريضة فعلاً فلزمت الفرائش».

«وزارها الطبيب في اليوم التالي، ونصحها بعدم مقابلة السرير بسبب ارتفاع

حرارتها، وقال:

«إنها المصابة، سوف أرسل إليها بعض الأدوية بعد الظهر».

«وعندما نزلت توني من غرفتها لتلبات و داروس التي ياترها بقولها:

«ماذا حدث هذه الطفلة؟ شغلت الطبيب خارجاً لثورة...».

«لويس مصابة بالمصيبة ويتعين أن تبلى في سريرها...».

«ولمحت الشرر يتطاير من عينيها وهو يقول:

«حسناً توصلت إلى ما تبغين الآن...».

مازكك لك أنني لم أدير مرضي الطفلة.

وكلا... ولكنها فرصة جاءت في وقت مناسب.

«إنك شخص يقضي... ألا تحس بأية مشاعر تجاه الطفلة المسكينة المريضة التي تطلب أمها الآن».

«الطفلة المسكينة من الأنسب أن تقول الشريرة الملعونة... ولكن من الذي أخطأ بإحضارها إلى هنا».

وقالت توني متألعة:

«لويس أفضل بكثير وهي معي هنا... يام لديها الكثير لتفعله بدون أن تزيد متاعبها في العناية بطفلة مريضة».

وزالت تعبيرات الغضب عن وجهه، وقال في دهشة:

«إنك تثيرين حيرتي... يبدو أن إهتمامك بشقيقتك أمر حقيقي... ولو كان الأمر كذلك فلماذا تيقن على الأموال التي أخذتها مني؟»

«يام لا تقبل إغاثته... قلت لك ذلك من قبل».

«هناك طرق ووسائل أخرى لإعطائه النقود بدون أن تقدم كإعانة».

«هل تريد أن تعرف ماذا فعلت بهذه الأموال؟»

«إنني أعرف ما فعلت بها...»

«صحيح... هل تعرف حقيقة؟»

وبدا الإهتمام على توني وهي تنتظر رد:

«أهتدئينها ولا تعطينين إلتاقاً بس واحد منها... إنك بخيلة جشعة يا توني».

«أشكرك... إنك أيضاً لا تسح الكثير بروح السخاء».

وسحك.

وحاولت توني التفاهم معه للحصول على جزء من مخصصاتها التي كان

قرر وقفها، لكنه رفض ذلك، وقال:

«إذا تجرأت مرة أخرى وأرسلت لي كشف حساب سأهال عليك ضريباً».

وقالت توني وقد سرت رغبة غريبة في جسمها.

«لن تستطيع السيطرة على بأي علف جنسي»

«لماذا؟ هل تعتبرين نفسك نذاً لـ؟»

«أود أن أقول إنني سأجأ إلى الشرطة إذا تجرأت وحاولت حتى تسب بأصبعك».

«أخشى ألا يفيدك ذلك... الزوج اليوناني من جهة أن يؤذي زوجته المخطئة».

كان في استطاعتها أن تخبره أنه نصف انكليزي... ولكن فاروس كان

يفضل اعتبار نفسه يونانياً، ورمسته توني بنظرة تحد، وقالت:

«بإستطاعتي أن أخرج عن طاعتك».

«هذا صحيح... ولكن جدي في هذه الحالة سيعتبر الزواج منتهياً».

ولعت عيناه بالسلالة بينما أضاف:

«في اليونان تعتبر المعاشرة الزوجية هي التي تقرر إذا كان الزوجان متزوجين

حقيقة أم لا... ولا توجد بيننا معاشرة زوجية كما تعلمين».

وهز كتفيه ثم ضحك بركة عندما تسلى الدم إلى وجهها.

كانت تمنى أن تافقه... وأن تنهيه بالكذب ولكنها كانت قد أقامت في

اليونان مدة كافية لتعلم أهمية الحياة الزوجية بالنسبة إلى الزوج اليوناني.

والواقع أنها لم تكن تذكر حقيقة في ترك زوجها، كانت تأمل في التوصل إلى

طريقة ما لجعله يدفع ثمن الاغاثات التي وجعها إليها. ومع ذلك كان شاكليها

الوحيد الآن هو كيفية الحصول على الأموال. وضعت الأيام وشعرت توني أن

الأطفال أصبحوا أكثر هدوءاً، كانت توني تعتقد أن هذا الهدوء إنما يرجع إلى

مرض شقيقتهم لويس، إلا أنها اكتشفت في اليوم الرابع عدم وجود لويس

أثناء تناول الشاي.

ورأته

«أين لويس؟»

ونظر دقيقت إليها قائلاً:

«في غرفته».

«ماذا يفعل هناك... أذهب إليه واخبره أن الشاي حاضر».

«إنه لا يستطيع النزول».

وظل قلب توني سريعاً وثقت ألا يكون لويس مريضاً... يكنيها

رشابة لويس أثناء مرضها... كانت الطفلة لا تنبر المناعب بسبب مرضها فقط

لكنها كانت شرسة وقحة بطبيعتها ولعل هذا يرجع إلى عدم وجود سيطرة أبوية.

الواقع أن الولدين كانا عنيدين لا يطيعان أحداً ورغم أن توني كانت تشعر بالسعادة أحياناً لأنها برعيان زوجها لكنها كانت تشعر بالضيق والمزج حتى تنفض عليها وتشبعها شرباً. كان الألم يمز في قلبها بسبب القلب الذي أحسنه... كان هذا القلب يبدو أشبه بإجراء انتقامي. وعندما يحطمان قطعة أثرية نادرة وهما يتصارعان في غرفة الجلوس كانت تشعر بالأسف على فقدتها أكثر مما تشعر بالضيق وهي تتلقى تأنيب زوجها.

وبالت بسعة،

«ماذا تعني بذلك؟»

«هذا الرجل البغيض - أفضد العم داروس - طلب من روبي الصعود إلى الغرفة بعد الغداء. ولم يسع له بالزول مرة أخرى اليوم.»

«العم داروس... كيف يحدث ذلك... ما الذي فعله؟»

«كان يتحدث في وقاعة إلى البستاني... وعندما طلب داروس منه أن يعتذر. خاطبه هو الآخر بوقاحة، ولذلك أمره بالصعود إلى الغرفة.»

وأحسّت توني بإشاعر مختلفة، بينما شعرت أن خطتها الأخيرة للانتقام من داروس فشلت، كانت تحس على التلويح بالارتياح لأن الأطفال أخذوا ينفضون لثرج من التربة السليمة - وأدهشها أن تقول فجأة له:

«العم داروس كان على صواب عندما عاقبه.»

فتنظر إليها ديفيد وهو يقول:

«هل تتفكرين مع العم داروس؟»

«بالأكيد.»

«أود العودة إلى بلدي... لويس مريضة في الفراش و روبي معاقبة في الغرفة. فماذا أفعل وحدي؟»

«بإستطاعتك أن تضي وقتك في القراءة... كما طلب منك.»

وفي هذه الأثناء كان داروس يج أمام الغرفة. ثم دخلها ونظر إلى ديفيد في جفوة. وقالت توني:

«أبلغتني ديفيد أن روبي في غرفته بناء على أوامره.»

ونظر إليها والخطيرة يادبة عليه حتى في الطريقة التي وضع بها يده على

الهاب:

«هذا صحيح، هل لديك أية تعقيبات على ما فعلت؟»

ونظرت توني إلى ديفيد الذي كان ينتظر منها أن تنصير لأخيه.

«كلا... ليس لي تعقيبات... ولكن أيتعين عليه أن يبقى في غرفته طوال اليوم؟ ليس هذا وقتاً طويلاً؟»

وأدهش أنها لم تكن غامضة ولكنه لم ينصح عن هذه الدفعة وهو يقول في نبرات خادقة:

«في الأحوال العادية تعتبر هذه العقوبة قاسية، ولكن روبي تم تخديره مرزوخ، وكان يدرك جيداً ما يتوقعه إذا تجاهل التحذير الثاني.»

«هل سيتناول أي طعام؟»

«أرسلنا الشاي إليه في غرفته.»

«ولم تد أي تعليق لنظر داروس إلى ديفيد وقال،

«أذكر القراءة التي تصحتك بها... تستطيع أن تحضر إلى غرفتي بعد تناول الشاي لتحدثني عنها.»

واندهشت توني من ميلكه. إن السيطرة على الطفل شيء. والاهتمام به إن هذا الحد شيء آخر لا بد أن يكون شخصاً آخر غير داروس. فما الذي حدث له؟

وقال ديفيد في تأديب وهو ينظر إلى يديه الموضوعتين فوق ركبيته:

«لم أقرأ شيئاً...»

«اعتقدت ذلك... ألم أحذرك، أفرغ من الشاي ثم اصعد إلى غرفتك. وسوف تبنى مثل روبي حتى صباح الغد.»

ونظر ديفيد إلى خالته مستعظماً وهو يبكي:

«أريد العودة إلى بيتي.»

لم تكن قد استعادت صوابها بعد من الدفعة التي أصابته لم تكن تتوقع أبداً أن يكون في أخلاق داروس هذا الجانب من الطباع. كان هادئاً ومع ذلك كان حاسماً. الغضب الذي بنا عليه بعد وصول الأطفال تحول الآن إلى اهتمام لا داعي له. ومحاولة داروس السيطرة على الأطفال لجرد الدفاع عن النفس في حد ذاته أمر مألوف. لكن محاولته التأثير عليهم بهذه الطريقة كانت شيئاً من

الصعب فهمه.

وفي هذه الليلة شعر الأطفال الثلاثة أن الأحوال تغيرت بالنسبة اليهم غامباً. أصبح هناك شخص - غير والديهم العطولة التي تستجيب دائماً لكل مطالبهم - يستطيع أن يتحدى لهم، وأن يضع قيوداً على كل تحركاتهم. وعندما التقى الأطفال في غرفتهم كانت تحتلهم مشاعر السرد على هذه القيود الجديدة التي لم يألوهما من قبل. وكان هناك إصرار بينهم على مواجهة هذا الموقف.

وقال روبي:

«ما الذي ينفذنا إلى الليل هنا؟ كل تحركاتنا أصبحت مقيدة غامباً».

ورد ديفيد:

«أشعر بأنني أعيش في سجن كبير واسع. العم داروس يحاول فرض سيطرته الكاملة على كل تحركاتنا».

«علينا أن نتخذ قرارنا الليلة لنبلغه إلى خالتي بمجرد أن نستيقظ في الصباح».

«يبدو أن خالتي تزني. لا تستطيع هي أيضاً أن تخرج لنا عما نحن فيه».

«علينا أن ندير الأمر حتى نعمل العم داروس إما على تغيير طريقتة في معاملتنا أو إعادتنا إلى بيتنا».

«لاحظت الليلة شيئاً هاماً للغاية... خالتي تزني. ولقت إلى جانيه وهو يروي لها الأسباب التي دفعتة إلى معاملتنا».

«ربما تكون خائفة مثلاً، إنه رجل شرير متعطش».

واعترضت لويس وهي في قراشها:

«إنكما تفكران بطريقة كلها أنانية، كل حكمنا أن تتوافر لكما أسباب الراحة بدون ضابط. أو أن تعودا إلى بيتنا لتضاعفا من المشقة التي تعاني منها والفتنا، فلتدير الأمر جيداً، لا بد أن يكون في إصرار خالتي تزني على وجودنا معها هنا فائدة كبيرة».

«ربما... لكنها فائدة تحد من حركتنا وكيفية استعمالنا باللعب...»

وقالت لويس في نبرة كلها استعطاف:

«لنمت والدي لنا كل ما في طاقتها أثناء الدراسة... فلماذا لا نتبع هذا الفرصة

كي تسترد أنفسنا؟ إن استمرار وجودنا هنا يسمح لنا بالملاج لاستعادة صحتنا. وربما استطاعت بعد ذلك أن نوفر لنا إمكانيات أكبر للعب واللهو».

وردة روبي قائلاً:

«أنا مصمم على العودة، جئت إلى بيت خالتي تزني. وكانت تحدوني الأمل في قضاء وقت كله لعب واستمتاع بالطبيعة، أما الآن فإني أشعر أنني استأملت دراستي مرة أخرى».

وأضاف ديفيد إلى كلام أخيه:

«العم داروس مصمم على أن نقرأ كل يوم إلى جانب اللعب».

وقالت لويس:

«خالتي تزني، لا بد أن يكون هناك وقت للاستمتاع باللعب واللهو، وآخر للقراءة والفوس».

ولجأ سجع الأطفال طرماً على باب الغرفة، ثم انفتح الباب برفق. ودخل العم داروس:

«هل أشارككم هذا المؤتمر الصغير».

وصمت الجميع، لم يجروء أحد على الرد عليه. ربما احتجاجاً على مسئلة معهم. وربما خوفاً من عقوباته القاسية التي يمكن أن يفرضها بدون رافة. واستنظر قائلاً:

«أعزب جيداً أنكم تبتغون مسئلكي معكم، إنكم أيها الصغار لا تتحركون بعد أنني لا أقصد أن أفرض عليكم قيوداً لمجرد الرغبة في مضايقتكم، كل ما في الأمر أنني أردت غرس نوع من السلوك المنتظم في نفوسكم يوفر لكم متعة حقيقية أثناء وقت فراغكم».

كان داروس يتحدث إليهم في عطف ومودة. لقد خلا حديثه تماماً من أي تهديد يعقب أو أية أوامر صارمة.

«لا أشك أبداً في أنكم جميعاً تميزون والديكم، إنها في حاجة الآن لأن تشرع لنفسها بعض الوقت حتى تستكمل علاجها، هل تبتغون عليها هذه الفرصة؟»

ورد الجسج في صوت واحد:

«كلا... إننا ندعوها بالشفاء».

وأحسن داروس بأن هناك استجابة من الأطفال لهذه الطريقة من التفاهم:
«إذاً فلنتفق على أن نعايش معاً، ونخصص من يومنا وقتاً للاستمتاع باللهو،
وأخر للاستفادة بالدراسة، ولنجترم كل منا رغبات الآخر».

وكانت المفاجأة أن يترك الأطفال الثلاثة حقائق الموقف وأسرع مما أدرته
خالتهم توني، وتعاقد الجميع على تغيير سلوكهم. لا يذ من معايشة العلم
داروس حسب التقاليد التي يعتد أنها صائبة، أما العلم داروس فلم يخل
عليهم مقابل ذلك شيء... سوف تتوافر لهم كل وسائل اللهو!

وأحسن الأطفال بحظف حقيقي من العلم داروس، إنه ليس بهذه الدرجة من
الشراسة التي بدت لهم في لفاتهم الأول معه.

«لنستم مساء يا أنثائي، أرجو أن يظل هذا الاتفاقى سراً بيننا وأرجو ألا يتردد أحد
منكم في اللجوء إلي إذا رغب في شيء».

كان هناك شيء غريب للغاية في الموقف كله، ومع منفي الأيام وجدت توني
نفسها تنظر إلى زوجها في إقرار جديد، وأدرك الأطفال أنه قادر على التصدي
لشقاوتهم فاحترموه لذلك، وكان يطلب إليهم كل يوم أن يتجزوا كمية محددة من
الدراسة في غرفة خصصها لهم. وإذا أخل أحدهم بما يطلب فلا بد أن يتوقع نوعاً
من العقاب، والأغرب من ذلك أن كل طفل أصبح يقضي يوماً مصروفاً
خاصاً به. وكانت مفاجأة لها أن يجيء إليها روبي ذات يوم حاملاً لعبة في
يده. ولما سأله من أين حصلت ظل المال قال:

«أعطاني العلم داروس ضعف مصروفي اليوم لأنني أنجوت كل عمل قماماً».

وقد جاء دخل داروس قابضاً له روبي وسأله:

«هل تعجبك»!

وأسله داروس باللعبة وأخذ يفحصها، إلا أن عينيه كانت ترقبان توني.
وسأله:

«لماذا تنظرين في دعشة هكذا»!

«أنت... أنت تبيع مصروفاً يومياً للأطفال»!

«إنه مصروف بسيط».

«ولكن لماذا»!

«ربما لأنت لك أنتي لست بخيلاً كما تعتقدين...»

وتذكرت توني الأمسة التي تعيشها... إنها لا تستطيع أن تشتري لنفسها
قطعة صابون. كانت تنسبها الخيرة والخيظ في ثمرات كثيرة: كيف تكون معدمة
تماماً لا تمتلك دراجاً واحدة، بيتاً ثروعت واحداً من أغني رجال الجزيرة؟

كان كل شيء مختلفاً عما عطلت له وقت للحظة لم أنها بدأت بداية مختلفة.
من يدري... لو أنها لم تطور مثل هذا الجشع في البداية لكان زوجها أكثر تهاجاً...
ونظرت إليه في شك وعادت تفكر كان أمراً طبعياً أن أجعله يدفع، ولا أزال
أريد منه أن يدفع إذا وجدت طريقة مناسبة لذلك.

كان داروس ما زال ينظر إليها باهتمام باهتة عندما أعاد إلى روبي
سيارته اللعبة.

«العلم داروس... وعدتني أن تأخذني أنا وديفيد معك على الزورق...»
«نعم وعدتك».

«قلت بعد ظهر اليوم إذا كانت تصرفاتنا مناسبة».

توهل تصرفتم بصورة طيبة اليوم»!

«طبعاً... إنك تعرف هذا ولكنك تغيظنا فقط».

«حسنًا... تعال، سنقوم برحلتنا الحرية الآن، أين ديفيد»!

وتلثرت توني إلى زوجها وهي تقول:

«إنك تنصرف بكياسة، ولا شك أنك ستجعلهم يأخذون من يدك فريسة».

ورد داروس بسرعة:

«وهو الأمر الذي يختلف قاماً مع ما كنت تخططين له».

«ستكسر شقاوتهم».

«ذلك أفضل بكثير من كسر اعتناهم»!

وضحك داروس لأنه أحس بالاتصال عليها، ودخل روبي.

وأخبرني ديفيد أنه سينزل في دقائق، هل تنجبه إلى الزورق؟ سيصرف

مكافأة...»

وسأل ديفيد:

«هل تستطيع خاتني توني أن تحضر معنا»!

«خالتك تهتم بدروس... وليس لديها وقت للزوجة البحرية».

«كانت تمني تربي تربية وهو يجري مسرعاً إلى البوابة، والحيث في خطوات بطيئة إلى حمام السباحة حيث كان يمكن أن ترى من هناك الزورق، وسرعان ما استقلوا الزورق وبدأت ضحكاتهم تعلو، واستقرت ثوبى في تفكير حزين وهي ترى الزورق يتبعد في البحر، وتذكرت ما قالت جولييا عن شقيقها داروس: «إنه عطوف».

«ولكن أليس كل اليونانيين عطوفين على الأطفال؟ إن ما يفعله ليس شيئاً جديداً، إن أبي رجل آخر كان يمكن أن يفعل ذلك في الظروف نفسها... وهذه التصرفات البسيطة يجب ألا تعنيها عن جفاء زوجها».

«أين روسي يا خالتي؟ العم داروس كان سيأخذنا معه في زفة بحرية في الزورق... أعتقد أنها ذهبا بقولي...»

«كلا... انجها إلى الزورق في انتظاره».

«أشكر».

وهم بالانصراف، لكنها سألته بسرعة:

«أصبحتا مولعين جداً بالعم داروس... ما الذي حدث أليس انتقامي بشقيقتك؟» ورد عليها:

«كان العم داروس فلسياً للغاية في البداية... لكنني بعد أن بكيت وهو يصرخ ق... وبعد أن قلت له إني أريد أمي التي تعيش بمفردها بعد وفاة والدي، أجلسني إلى جواره وجعلني أمول له كل شيء».

«كان ديليد ينظر في قلبي إلى البوابة المؤدية إلى الرفأ الصغير وكان يخشى أن يتركها وحده».

«إن يذهباً ببنوك... ولكن ماذا تنصدم بأنه جعلك تقول له كل شيء».

«كل شيء عن أمي... سألتني عن كل شيء... وقلت له إنها تعمل عملاً شاقاً، وإننا لا نملك أموالاً كثيرة، وإننا نعيش في بعض الأحيان عندما نتذكر والدي، ثم سألتني العم داروس إذا كنا أشتباه في بيتنا كما نحن هنا فأجبت بالاجاب. وسألتني إذا كنت أشعر بالحنين من ذلك، فقلت إني لا أعرف... فرد علي أنه ينبغي أن أشعر بالحنين. وقال إنه من الأفضل أن تبدأ جميعاً صفحة جديدة».

وتوكل ديليد عن الحديث وهو يلتفت أناسه، وكانت عيناه ترلزان في قلبي البوابة المؤدية إلى الزورق.

«ثم قال إنه سيوعانا جميعاً، وإننا سنعود إلى بيتنا أفضل سلوكاً، هل أستطيع الانعاب الآن».

وردت قائلة:

«نعم... اذهب».

«كانت ثوبى تربي تربية وهو يجري مسرعاً إلى البوابة، والحيث في خطوات بطيئة إلى حمام السباحة حيث كان يمكن أن ترى من هناك الزورق، وسرعان ما استقلوا الزورق وبدأت ضحكاتهم تعلو، واستقرت ثوبى في تفكير حزين وهي ترى الزورق يتبعد في البحر، وتذكرت ما قالت جولييا عن شقيقها داروس: «إنه عطوف».

«ولكن أليس كل اليونانيين عطوفين على الأطفال؟ إن ما يفعله ليس شيئاً جديداً، إن أبي رجل آخر كان يمكن أن يفعل ذلك في الظروف نفسها... وهذه التصرفات البسيطة يجب ألا تعنيها عن جفاء زوجها».

٥- شيخ اوليفيا

ووصل جد داروس في شهر أغسطس (أب). أي بعد أسبوع من الموعد المتوقع له. وأمنت توني بالأكيد أن فتوراً سوف يخيم على علاقتها أثناء زيارته. لكنها ذهبت عندما حيّاها الرجل بالروح الودية المعروفة عن اليونانيين. وكان المأساة التي شهدتها لم تحدث أبداً.

ومع مضي الوقت انصاع الأطفال تماماً للطريقة التي يعاملهم بها داروس. ولم تستطع توني أن تخفي إعجابها بأسلوب داروس في معاملة الأطفال. كان صارماً معهم، لكنه أثبت أيضاً أنه متفهم وأدرك أن الصغار يتصورون بالظرف اسماً وليس في أعماقهم أي سوء خفي.

والواقع أن استفساره عن دينيد أوضح له الصورة تماماً بالنسبة إلى ما حدث منذ موت أبيهم. كانت الأم تعمل والأطفال يبحسون بلا سيطرة. وكان واضحاً أنها أقسدهم بالدليل لأنها شعرت أنهم يعانون الحزن بعد موت أبيهم. لم تكن صورة جديدة بأي حال ولكن توني ظلت متدهشة لأن داروس لم يبتل بالجهد أو الوقت لأصلاح سلوكهم.

وفي هذه الاثناء كانت لويس قد شغيت تماماً وتركت فراشها. وأصطحبها توني إلى الشاطئ الذي يمتلكه داروس حيث كان الصبيان يلعبون الكرة. أما جد داروس فكان يجلس على أريكة يرقبها. وابتسم عندما شاهد توني ولويس تقربان منه.

وقال:

«ابنة أختك أصبحت أفضل الآن...»

وأبانت توني برأسها وابست للرجل السن وأدهشها أنها لم تكن له في

نفسها أية ضغينة. إن عزمه على تنفيذ الانتقام كان بالنسبة إليه هو الأجراء القاسي والسليم. ولم تجد توني صعوبة في الصلح عنه. بعدما أصبحت متأثر من الخطر. إلا أنها لم تصفح عن داروس. ومازالت تأمل أن يأتي الوقت الذي تنجح لها الفرصة لتعاقبه على ملاحظاته عن القنيتات الانكليزيات.

وجاءت الفرصة أسرع مما توقعت. أو هكذا تصورت. كان داروس يستضيف بعض زملائه من رجال الأعمال وزوجاتهم في الأسبوع التالي. وطلبت توني منه بعض المال لشترتي قسباً وتصفف شعرها. وكان وجهه عليها:

«استخدمي بعضاً من غصصاك.»

قال ذلك بعزم وكأنه لا يريد مزيداً من النقاش.

وراحت توني تفكر في الأمر وهي جالسة مع الرجل المسن. وراودتها فكرة إخراج داروس عندما جاء إلى الشاطئ. كان يرتدي سروالاً قصيراً وقد بدت عضلاته صلبة قوية. ونظر إلى لويس وهي تلعب الكرة مع شقيقها ثم التفت إلى توني وقال وقد عيس وجهه:

«إن ما تفعله لويس يلقى طاقتهما... لكنا نتركها هكذا تستغل طاقتهما الضعيفة بعد مرضها»

وردت توني في صوت خفيض:

«إنها ابنة اخي وأنا أعرب ما يصلح لها»

وشعرت توني بالشلل بعدما لاحظت أن الجد ينظر إليها في دهشة. ووجه حديثه إلى حفيده قائلاً باليونانية:

«هل تسمح لزوجك ان يتحدث إليك بهذا الأسلوب؟»

«لم أخضع روحها الانكليزية بعد. ولكنني سوف أفعل ذلك.»

وكانت توني تتفجر ضحكاً وهي تسمع ذلك. لكنها ظلت صامتة حتى تخفي معرفتها باللفة اليونانية. سأله الجد قائلاً:

«ألم تعلم دوماً عن الانكليزية الأخرى ما داروس؟ هل تعرف زوجتك أنك كنت ترتبط بخطية مع أوليفيا؟»

وأجاب داروس في انتباه:

ولم أجد سبباً أذكرها ذلك.
 وأعجب في بعض الأحيان لما تزوجت هذه المرأة؟ والدتك قالت أنك أحببتها، إما
 أنك تزوجتها لاتقلاها مني أو نكاحاً في أوليها.
 ولم يعلق حليده بكلمة فاستطرد قائلاً:
 «كان زواجاً مفاجئاً يا داروس»
 ونظر ناحية توني، ثم نقل نظره إلى لويس محاولاً إقناعها بعدم الاستمرار
 في اللعب. وأمسك بيدها.
 وسمعتها توني لتحتج وتقول:
 «لكنني أريد أن ألعب معك»
 ولكن أخيراً ديفيد تصبها بحلواً
 فمن الأفضل أن تسحب ما يقوله العم داروس»
 ولم تكن لويس قد خضعت لتأثير عمها الصارم.
 وحاولت التلصص من يده لكنه حملها بشيء من العنف واتجه بها إلى المقعد
 الخلفي بجوار خالتها واعتناقت توني وقالت غاضبة:
 «اتركها وشأنها»
 وإما أن تجلس في هدوء هنا على الكرسي أو أن تعود إلى المنزل»
 «لن أبقي على هذا الكرسي، ولن أعود إلى المنزل»
 «سوف تبقين في مكانك يا فتاتي الصغيرة، ولم يكن من حق خالتك أن تسمح
 لك باللعب مع ديفيد وروبي»
 كان صوته صارماً ولكنه كان هادئاً لطيفاً وتطلعت إليه وقد بدا في عينيها
 لمحة من الاحترام له.
 وسألت خالتها:
 «هل ينبغي أن أبقي هنا»
 يا له من وضع حرج. وقالت توني وهي تمشي غضباً:
 «نعم يجب أن تجلس لويس في هدوء على الكرسي»
 ووقف داروس ينظر إلى توني وقد بدت السخريّة في عينيها. ثم استنار
 واتجه إلى الولدين وعندما شاهداه، هلا فرحاً لأنه سيشاركهما في اللعبة.

وأخذت توني تراهيم وقد انتابها شعور بالحنين الشديد. لم تكن قد
 حدثت بهم على أطفالها. كانت تشمخ بحياتها وحريتها. وكان الزواج في نظرها
 حالة قامضة وإن تفكر فيه إلا بعد أن يبقي شيئاً. لكنها الآن شعرت بإحساس
 غريب من القراع كأنها تهيم على وجهها بدون مرقاً.
 وبصورة آلية تطلعت إلى البيت الأبيض عند سفح التل... إنه البيت الذي
 تعرف بالتأكيد أن داروس يمتلكه. تذكر أن تشاريوش ليونيتي يقم هناك
 مع والدته. توني قد قابلته ذات يوم، عندما كانت تسير على سفح التل عائداً
 من ليتدروس حيث كانت تتسوق بعض حاجياتها، وعرض عليها أن
 يصطحبها في سيارته إلى منزلها. وقد قلصه إليها. ودعاها إلى زيارته وأمه في اليوم
 التالي. لقد حدث ذلك قبل وصول الأطفال الثلاثة. وقبلت توني الدعوة
 وزارتها في مناسبات عديدة تشاريوش وسيم وأغريب. وهو لا تشك مفسون
 بشخصية توني. ولم ينعه زواجها من أن يبقي إعجابها بها. وتوني تعرف أن
 كل اليونانيين مغمومون بملكي النساء. لكنها كانت تحس أيضاً أن تشاريوش
 صادق في إعجابها. تقدم إليها الكثيرون في حياتها للزواج منها، لكنها لم
 تكن تحس بأي شعور نحوهم. إلى أن قابلت تشاريوش. أحبته وكانت تفكر فيه
 كلما قابلته. وطوال فترة وجود الأطفال معها لم تستطع توني أن تزوره هو
 وأمه. لا بد أنه تساءل ما الذي حدث؟ وفترت أن تتصل به هاتفياً.
 ولجأة سرحت توني بفكرها وظكرت تلك المصادفة القصيرة بين داروس
 وجدة منذ خطوات. وأخذت تفكر في أوليها. من هي وكم من الوقت استمرت
 خطبتها قبل أن يقررا الانفصال؟ لا بد أنها عذلة بطريفة جعلته يحسّر كل
 الانكساريات ويتشكى لو أنه تزوج من فتاة يونانية تعرف مكانها تماماً كامرأة.
 وعندما وصلت توني بأفكارها إلى تلك النقطة تساءلت ترى ماذا سيكون رد
 فعل شقيقته عندما تعلن بأنها إلغاء الزواج الحالي؟ الطلاق يزعج توني.
 وعندها يلقي الزواج لن تشعر إلا بالارتياح.
 وعاد داروس والأطفال من الشاطئ. وأفسحت توني مكاناً لداروس
 بجوارها فشاركها وهو يقول:
 «الأفضل أن تدخل لويس بعد دقائق إلى المنزل. حرارة الشمس أصبحت أشد

من طاعتها على الاحتمال.

وأشاحت توني بوجهها، ولكنزت. لولأنه فقط حذ من سلوكه السيئ المتعالي
لا يستطيع أن يخطئ جودتها. إن أي شخص يراه يعتقد أنه والد هؤلاء الصغار
وجلس الطفلان على الرمال بينما أجلس توني بنت أختها لوريس على
ركبتها وبدأت بناء على رغبة الطفلين لصكي قصة خيالية عن ريدوس وهي
تؤكد أن الجميع ومن بينهم داروس وجهه يتصرفون إليها في اهتمام.

وبعد أن فرغت توني من روايتها قال داروس إن اسم الجزيرة اليوناني
ريدوس يرتبط باسم بطل القصة. وأكمل داروس بعض جوانب القصة.
وكان حديثه رقيقاً لطيفاً بل كان تشبه شعر بالهجة والمرح مثل الأطفال.
واجتاح توني شعور غريب، لقد بدا شخصاً مختلفاً تماماً وهو يحدث الأطفال
ولكن توني. إنه أب رائع ولهم أنه زوج مثالي.

كان حفل العشاء المزيج إقامته لزملائه من رجال الأعمال وزوجاتهم سيخذ
شكل حفل رسمي... وقبل أيام من مواعده جلست توني تتصور كيف سيكون
الموقف أثناء الحفل. زوجها سيكون واقفاً هناك يحدث في ذهنه إلى مظهر زوجته
أمام ضيوفه الأثرياء وزوجاتهم. وهي ترتدي فستاناً قديماً وتترك شعرها بلا
تصنيف. وعندما يهدي داروس أية ملاحظة عن زها أو شعرها... ستوجه
إليه الاتهام وتقول بصوت سمع للجميع:
«لا بأس يا داروس... هذا كل ما عندي. لذلك لم تعطني شيئاً حتى لتصنيف
شعري».

كان الشوب يقصص أمها وكانت توني قد أخذته لتفصل منه تنورة ذات يوم.
لكنه ظل مطرباً في حقيبتها... ولو أنها أرادت أن تزيل لها عيده لوجدت هذا
مستحيل. في أي حال لم تكن تريد أن تزيل التاجعيد وتطلع إلى نفسها في
المرآة وهي ترتدي الشوب. كان مظهرها فيها... ويظهر لها أن توني شوب أمر يلقى
بالناسبة لكنها صرقت الفكرة. وكانت تريد أن تضع زوجها في وضع مزعج
لكن داروس استطاع أيضاً هذه المرة أن يبعد عمارتها. فقبل نصف ساعة
من موعد الحفل سمعت طرقة على باب غرفتها. وبأسا إن كانت قد ارتدت
ملابسها.

ووضعت توني عباءة فوق فستانها وفتحت الباب.

«هل هناك شيء؟»

«هناك خطأ في ثنية كم القميص. ولا أستطيع تصليتها».

ولكن توني من ثبيت ثنية الكم والأزرار الذهبية المحلاة باللاس.

كان داروس يلخص توني بنظرته طوال الوقت. ولجأة وقع بصره على
فستانها الأحمر القديم.

«أليس عندك غير هذا؟»

«هذا هو أفضل ما عندي...»

حرفها يمتدح فيها بدون أن يتلق بكلمة.

«ماذا تصفدين؟ هذا غير مناسب».

والجبهه بخطى سريعة إلى خزانة ملابسها ليجد مجموعة من اللباسين المختار
واحداً منها ووضع على السرير. وقال لها في عطف.

«ارتدي هذا الفستان. وحاولي أن تصلي شعرك بطريقة مناسبة. إنك تبهدين
كثيرة المسك...»

وردت توني في حلق وعينها الخضراوان مليتان بالكراهية.

«لن أصطف شعري ولن أغير رفاثي».

صوت تلعلين ما اطلب.

والجبهه إليها وزرع العيطة بعطف.

«هل لمعلمين الزملاء فوراً أو أفعل أنا ذلك؟»

«لن احضر الحفل. ويمكنك أن تعتذر لهم. قل إنني مريضة أو أي شيء آخر».
«لديك عشرون دقيقة، اجعلي مظهرك مناسباً خلالها وإلا ستحلمين كل النتائج».

«لا أستطيع أن أفعل شيئاً بالنسبة إلى شعري».

«استدعي جاريا كانت ذاتها تصلف شعر جاريا».

والجبهه داروس إلى باب الغرفة، واستدعى جاريا.

«انزلي خلال عشرين دقيقة. واعتني بمظهرك الذي يجب أن يكون مناسباً لزوجتي
رجل مثلي».

«كيف أفعل ذلك في عشرين دقيقة فقط؟»

وبعد هذا قاتلاً:

إذا امتنعت عن تغليب ما أطلب سوف تنفعين النسيء.

وتركها والدة هناك وهي تنسني من كل قلبها لو أنها لم تنكر في هذا المحاولة.
وبعد مضي عشرين دقيقة كانت توني تلقف في القاعة، وكان داروس
يقدمها إلى شيرل من اليونانيين الأثرياء وزوجاتهم اللواتي حصلن، مثل أم
داروس، على حصص من التحرر من دون الوصول إلى وضع المساواة الذي
تتمتع به نساء الغرب.

وسمعت توني أحد اليونانيين يقول لداروس:

«زوجتك قاتلة»

«وجيلة جداء»

قالها آخر وهو يرمق كل جزء في جسم توني بهذا التسرع من التعالي
المتعاطف الذي يتصف به كل الرجال اليونانيين.

ورد: «داروس»

«أشكرك يا داروس»

واعقب تعليق داروس الرقيق بنظرة متكررة إلى زوجته. وآخر وجهها وهو
يخفق فيها. إذ أدركت مدى سعادته لأنه استطاع أن يسيطر عليها. لكنه بدا حائراً
أيضاً، وخطر لها فجأة أنه لا بد أن يكون مرتبكاً بالطبع ولا بد أنه يتسلسل عن
سبب محاولاتها المستمرة لأزعاجه... في يوم ما... ربما عندما يستعدان لانتهاء الزواج
متوضح له الأمر. سوف يظن سذمة كبيرة عندما يعرف أنها تهتم لفته. لا
شك أن هذا سيجرحه. ولكن كيف يشعر أمثاله بالمحرج؟ إنه شخص يتله بهذا
الاحساس الغبيض بأهيمته وفكره وسيطرته لا يمكن أن يخرج منه شيء.

كان الصيول يتناولون شرايبهم. وعندما كانت توني تنظر حولها لاحظت أن
إحدى السيدات الجميلات لمحنق فيها. إنها إيلينا لامبليس زوجة صاحب
البنك القوي الذي كان يقف بالقرب من النافذة يناقش مع مديفه. وظلت
المرأة ترمق توني بعينها من رأسها إلى قدميها. وقالت توني لنفسها: من
تكون هذه السيدة غير المهذبة. وبعد دقائق وجدت توني نفسها تقف خلف
إيلينا التي كانت تتحدث إلى داروس باليونانية.

«أوليفيا تعتقد قاماً أنك تزوجت هذه السيدة للضرورة البحتة وليس لشيء آخر»
«حقاً ولكن ما الذي يهم أ أوليفيا من زواجي»
«تذكر أنك كنتا محطرين»

«إيلينا، الأفضل أن تنسى هذا الموضوع، باعتبار أن أوليفيا واحدة من
أفضل صديقاتك»

«فعلما وهي تأسف لما بدر منها بالنسبة اليك. هل تزوجت توني للضرورة»
«أجاب بحدّة:

«للضرورة»

«سمعت أوليفيا إشاعة غريبة يا داروس، إنها تقول إن جيك كان يعتزم قتل
هذه الفتاة للأخذ بالثأر»

«إنه كلام فارغ... تزوجت توني لأنني أردتها زوجة لي...»

ولم يعقب داروس على ذلك... ولكنها مضت قائلة:

«إنك لم تنس أوليفيا ابداً... فهي تفوق هذه المرأة جمالاً وجاذبية»

«إيقيناً لا أحب أن أكون وقفاً مع صوري، أطلب منك أن تنسى هذا الموضوع»
«استدار داروس فالتفت عينا، بعيني توني التي اضطرت إلى رسم
ابتسامة على شفها رغم أنها كانت محترق في داخلها.

إذا هذه أوليفيا تفوقني جمالاً وجاذبية: ورد زوجها على ابتسامتها لتناول
كأسها الفارغة وسألها برفق: هل تريدين كأساً أخرى يا عزيزتي؟ وقالت توني
وقد لمحت ابتسامتها: كلا، شكرًا، وابتعد عنها.

وتحولت المرأة إلى توني قائلة:

«ألا تتحدثين باليونانية»

«أعرف بعض الكلمات»

«اعتقد أن ما تعرفين هو كيف تقولين من فضلك» و«أشكرك»

«نعم أعرف هذين التعبيرين باليونانية»

«ليس المهم أن تعرفي كيف تتحدثين لغتنا... معطشتا نتحدث الانكليزية هذه
الأيام»

«إنها ميزة أن تعلم اللغة أخرى، في هذه الحالة سيعرف أن ليس هناك من

يتحدث عنه بدون أن يعرف ما يقال.

وبدا الفرج على المرأة وقالت:

«أمل ألا تتصورين أنني وداروس كنا نتحدث عنك الآن».

«ولذا أنتصرون ذلك يا سيدة لاميديس».

ونظرت إيفانيا نظرة غريبة إلى توني بينما ظهر داروس قربها. ولا حظ

التعير في عينيها. وسألها قائلاً:

«هل هناك شيء غير عادي».

«أعتقد أن زوجتك تصبر أننا كنا نتحدث عنها».

كانت كلماتها تعدياً لتوني وشعرت توني بالندم لأنها تهورت وجعلت

الحديث يتحول على هذا النحو الخطير ولكنها ردت بسرعة قائلة:

«السيدة لاميديس تتخيل أشياء لم تحدث».

«أشعر بالانقاص لما يطور بينكما... أرجوك أن تفسر لي إعداكها الموقف».

«كانت زوجتك تقول إنها حسرة كبيرة ألا يلهم المرء الفتاة والمعت إلى أن كلاماً

كثيراً قد يقال عن شخص بدون أن يعرف ما يقال عنه».

ولم يثر هذا الموقف مرة أخرى، لكن توني أصحت بشيء من القلق أثناء

الحفل. فقد لاحظت أكثر من مرة أن زوجها يرمقها بنظرة عنقها يقال شيء باللفة

اليونانية. والفرزت توني كل الحرص حتى لا يكشف أحد أنها تعرف اليونانية

وماعدت نفسها بأن تتخذ الحيلة في المستقبل.

وأخيراً غادر المنزل وأصبحت توني يفرحها مع داروس.

«كنت حكيمة عندما استجعت إلى التحذير الذي وجهته إليك. أرجو أن تكوني قد

استوعبت هذا الدرس».

ولمعت عيناها غضباً:

«هل هناك ما يدعو إلى التعقيب على استجابتي لشاغل».

«استجابة... إنك تقصدين استسلامك لما أريده».

«إذا كان يرضي غرورك أن تسميها هكذا، فلا تجعلني إذاً أعظم أوهامك».

«إذا كان هناك أي شخص يعيش في وهم كهوات بلا شك، إنك الآن تعرفين أنه

يحب ألا تشير بي، مازلت لمهدين عن الطريق فتجعلني من نفسك مصيراً

للمصايقة ولقد فشلت تماماً في فهم ذلك، ولكن لا بد أن يكون هناك سبب».

وقالت لنفسها:

«هناك أسباب فعلاً وسيعرفها يوماً ما».

«أنا ذاقته لأنا...».

وخرجت من الغرفة.

وبعد دقائق سمعت توني خطوات داروس. وعندما ألقت نظرة عابرة

عابرة إلى باب غرفتها غير المغلق تذكرت أوليفيا وشملت عن مشى بهالها وما

التي فعلته حتى تتسبب في تلك ارتباطها بداروس. ورغم كل ذلك فكل

داروس كما قالت إيفانيا لا يستطيع أن يتسبب... أوليفيا أسفة لما فعلته مع

داروس. ولذلك فربما تسي هي وداروس خلاقاتها عندما يسرد داروس

حريته.

واستقوت توني في نهاية الأمر على سريها. إلا أن أفكارها عن جمال

أوليفيا المجهول لم تنقطع. أوليفيا يحسها بلا شك وتأملي أن تدخل في

منافسة مع توني. إذا كان داروس مستعداً للفتيح عن أي خطأ ارتكبته

خطيئة السابقة في حق... منافسة إنها تشدهش كيف تسلمت هذه الكلمة إلى

أفكارها. لا يمكن أن تكون هناك منافسة بينها وبين أوليفيا. فلنأخذ أوليفيا

هذا الأجنبي للتخاطب المتسلط مع أطيب التمنيات بحفظ سعيدا

شعرت توني بإحساس مشر يتغلغل إلى نفسها ولكنها لا تستطيع لمزيد.

إحساس جعلها تظلم ساعة طوال الليل. وكانت آخر أفكارها تدور حول

تشاريتوس ليونيني الذي التفت معه في آخر مكانة على لقاء قريب. كانت

توني ترقب في اصطحاب الأطفال معها، ولكنه أفتعها بالعدول عن ذلك.

واتفق الاثنان على التوجه إلى رودوس، ثم يتناولان الغداء. وتشري هي

بعض احتياجاتها إذا شاءت. ثم يصحبها في جولة إلى المدينة.

ولفكرت توني. كيف تشري أشياء وهي لا تملك فراخاً واحدة.

«من أحسب الوقت في الشراء يا ليونيني... أفضل القيام بجولة سياحية».

وهكذا تم ترتيب هذا اللقاء. وإن كانت توني أصحت ببعض الذنب لأنها

سجرت الأطفال. لكنها كانت تنطلق إلى قضية وقت طيب بصحبة تشاريتوس.

«كلا، كان الأثراك هم الذين يحشرون، كنا «أنا» عطوفين كرمًا كما نحن الآن...
عطوفون وكرماء»

هذه الأوصاف لا تنطبق على يوناني مقبّل... أو ربما يكون وراث بعض
عاداته السيئة من والده الانكليزي، ولكن ذلك مستحيل. فلانكليز ليسوا
كذلك على الإطلاق، فربرت هذا وهي تشعر بالولاء لشعبها.
وسألها تشاريتوس بعد لحظة:

«وما رأيك في بعض الشراب؟ هذه الشمس تجعل المرء يشعر بالعطش، وجلس
الانسان قرب مسجد تحت ظل شجرة ضخمة. كانت توني تشعر بالسعادة إنها
أول رحلة لها بعيداً عن مدينة ليندروس وكانت تستمتع بالرحلة قامةً.
وسألها وهو ينظر إليها في إعجاب:

«فلماذا يسمح لك زوجك بالخروج هكذا؟»

«وهل يفتنور زوجي أن يمتنع؟»

«لو كنت زوجتي لاعتقدت»

«كنت أتحداك»

«وهل هذا حرماً تفعلينه الآن؟ تتحدين زوجك؟»

«إنه لا يعرف أنني خرجت من البيت»

«ألم تقولي له الي أين أنت ذاهبة؟»

«لم يكن موجوداً... ولذلك لم أذكر شيئاً»

وصحك الانسان وتطلعت إليه توني، كان وسيماً، شبه ممثل الشفتين وعينه

أقل قتامة من عيني الرجل اليوناني العادي. وسألها:

«ولكن تنفرض أنه كان موجوداً، هل كنت متقولين له إنك خارجة للقائي؟»

وصبغت لحظة وهي تفكر ثم قالت:

«كلا، لا أعتقد»

واقترب منها بقلبه وهو يقول:

«إنك تعجزيني يا توني، مثل متى تزوجت؟»

«نحو عشرة أسابيع. ولا تمانعين في الخروج مع رجل آخر، إنني أعرف أن المرأة

الانكليزية حرة، ولكن ألا تحبين زوجك؟»

٦ - الخاتم والشييك

وبعد أن تناولوا القهلا في فندق غراند هوتيل. قاما بجولة في المدينة القديمة
بأسوارها التي بناها الفرسان الصليبيون، ومعابرها التركي الغريب حيث توجد في
البيوت ما يشبه المشروبات الخاصة بالنساء. وهذه تبدو كأنها قمع البصر في
فضول إلى الأثرقة الممتدة تحتها.

وعندما دخلوا عبر بوابة البحر النضجة كان التغيير الملاحظ في المشهد يذكر
بتغير المشاهد في التشكيل المسرحي الصامت، لعل معنى خطوات فقط اختلى
الغرب وللهوت مدينة شرقية امامها.

ولذلك توني في دهشة وامتنعاب:

«أته شيء؟ خلاص، كل شيء يتسم بالسلام. كلها من العصور الوسطى...»

المساجد والمنازل.

وصحك تشاريتوس من طريقة وحلها وثابت ذراعها وأصابع

هناك أيضاً الأشجار والأثرقة الضيقة والبيوت ذات الفناطر التي تبدو متساندة

للي بعضها البعض.

فوالاحساس بالعزلة... والمعرفة...

والثأثيرات القديمة ما زالت باقية. كان على اليونانيين لفترة طويلة أن يهروا

خارج المدينة القديمة في الساعة الثامنة مساءً كل يوم.

وهل كانوا يحشرون الأثراك؟

وقال وهو يضحك:

ونظرت إليه في تأمل وقالت أخيراً:

«لماذا قلت إنني أحبه... هل تصدقني؟»

«بصراحة لا... لم تعطني انطباعاً بأنك عروس انكليزية حديثة الزواج،
الفتيات اليونانيات لا يظهرن هكذا بعيدن متألقة بعد الزواج».

«لأنهن بطبيعة الحال لا يتزوجن من أجل الحب».

«بالضبط... يتزوجن لأن أبادهن يصحهن بذلك».

«وبعد أن يقرر الأبوان اختيار زوج معين لا يتنهد».

«حاشاك... ولكن أنت يا توني... لماذا لا تعين؟»

«لم أعترف بأنني لا أحبه».

«أوه... نعم... اعترفت... وفي على سؤالي... توني... انه من المهم جداً أن أعرف
الكثير عنك».

وأصغت توني برغبة في جسمها. هل تبقى به؟ إنها متأكدة أنه شخص يمكن
الوثوق به. نظرة واحدة إلى عينه أوجت إليها بذلك.

«كان زواجنا ضرورية بحته، إن أحداً منا لا يحب الآخر».

«ضرورية»

وترددت توني بعض الشيء ثم انطلقت قاتلة:

«جيد داروس كان يعتزم قتل...»

«بلشكاً»

«إنه الأخذ بالتأليب... لقد عشت في كريمة فترة».

وبدأت توني تسرد له تطورات القصة كلها. وكانت تلحظ التغييرات
الخطيلة التي تبدو على وجهه. وأخيراً قالت إنه لا بد من نسخ هذه الترجمة في
نهاية الأمر.

«وهكذا تصبحين حرة في الوقت المناسب».

«وأومأت قاتلة».

«نعم يا تشاريتوس، في يوم ما سأكون حرة».

«أحبست لصاحب القهوي وهو يحضر المشروبات إلى المائدة قايسم أبيضاً
وقال:

«هل أنت سائحة يا سيدتي؟»

«كلا، أنا أقيم هناك».

«يا ريتوس»

«لا يا ليشيتوس».

«إنها مدينة جميلة حقاً».

«نعم، إنها جميلة جداً».

«وأيتم الرجل مرة أخرى وانتقل إلى مائدة أخرى مجاورة».

وسادت فترة صمت بين توني وشاريتوس. وهما يحسبان الشراب وكانت
توني تتطلع إلى الرجال يدخلون المسجد يحملون أحذيتهم عند الباب. وعلى

الجانب الآخر من المكان كان هناك باب مفتوح ترى منه أرضاً مغطاة بالسيفاء
من الحصى البيضاء والسوداء مرسومة على خط قديم ولربها بيت صغير تبعثت

منه أصوات الموسيقى وراوتج طعام شهية. وكان السواح يتهاقشون عليه
يتصنئون إلى الموسيقى ويستمتعون بالطعام.

وتنهدت توني في ارتياح إنها في ريتوس التي لم تشهدا من قبل، ولولا
تشاريتوس لما رأتهما، فالرحلة طويلة ولا تقدر على تحمل نفقاتها بفردتها.

والتفكير في المال أعاد إلى ذاكرتها الأطلال الثلاثة... كانت تزد لو شكتت من
شراء بعض الهدايا لهم.

سألت تشاريتوس أخيراً:

«هل تبدأ العودة؟»

«وأومأت توني برأسها. وقطعها بعض المخطرات برأ على الأقدام وهي تتطلع
إلى معالم المدينة القديمة، وانتهى بها المكان إلى شارع القرمص. كلن السواح

هناك بالثلاث يتجولون في الأحياء الضيقة في صحبة المرتدين. وكانت توني
تجس بروعة المكان الذي تسير فيه. لتجتاحها الرغبة في دخول بعض منازل

القرصان والتحدث إلى سكانها الجدد... وقالت:

«أريد أن أدخل أحد هذه المنازل الرائعة. وحقق ليها وبقيتها وقال:

«تدخلين! إن فيها سكانها».

«سوف يرحب السكان بدخولي».

وأقصى الاثنين وقتاً متعاً. وفجأة اقترب منها تشاريتوس وطبع قبلة على وجهها. وبأدبته يقول:

تشاريتوس، لم يكن مناسباً أن تفعل ذلك، إنني متزوجة.

«إنك متزوجة بالاسم فقط، وكلاكما يعترف نكاح الزواج بمجرد توافر الفرصة، يا عزيزتي، إنك لست متزوجة.

تشاريتوس: أفسح بالجميل... ترى لماذا؟

«لا داعي لشعورك بالجميل يا عزيزتي، إنك حرة تماماً.

«ولكنني لست كذلك يا تشاريتوس».

«هل كانت غلطتك أن تزوجي؟ هل أحد منك لديه النية في أن يستمر الزواج؟ إن ما ذكرته لي يا توني يبين أن داروس لا يمكن حتى الاحترام لك».

«هل أعطيتك هذا الانطباع؟ لم أقصد ذلك».

«أحس توني بالجميل. بل شعرت بعدم الرضا لداروس. ولكن أي ولا تدين به لداروس؟

«توني يا عزيزتي، إنني أحبك، وأشعر بالقليل بالنسبة إلى عواطفك تحوي، لكن علينا الانتظار... رغم أنه سيكون صعباً بالنسبة إلي... أنا عسى تماماً.

«ولن أضايقك أبداً. فقط دعينا نلتقي من حين إلى آخر

«علينا أن نذهب الآن. العجز التي تلف هناك سوف تشك فيما نفعل».

كانت توني تشعر بأحاسيس غريبة رغم أنها كانت تود لو أن صداقتها مع تشاريتوس قد تمت. وتطورت إلى علاقة حب. كانت تشعر أنها لا تحب داروس. وأنه لا يحبها. ولم يكن هناك أي شك في أن زواجها سوف ينتهي. إنه

زواج مؤقت لن يدوم. وأحس تشاريتوس بالأفكار التي تزودها وقالت:

«ولا أعرف ماذا أحسبني».

«وأخذ تشاريتوس يدها بين يديه وقال برفق:

«يبدو أنك تشعرين بوخر الغضب يا عزيزتي، إنني لا أعرف لماذا، ولي إبه حال إنه أمر مستحقين الشك عليه. لكنك لو فكرت جيداً لن تجدي مبرراً لأحاسيسك بالنزف، إنك حرة يا عزيزتي، حرة، ألا تفهمين؟

«وصلنا إلى المكان الذي توقفت فيه المرأة العجوز فابتسعت لها وسارا في

طريقها وبعدها لا تزالان متشابهتين. وأخيراً قالت توني:

«تشاريتوس، أشعر أنني مخيفة معك، ولكن أعطني فرصة».

«والطبع أمامك وقت كاف يا عزيزتي، كل شيء سيسير على ما يرام في النهاية، لنفس كل شيء» الآن واقع نفسك.

وسار الاثنين على طول المتنزه في المدينة الجديدة وهي أيضاً جميلة ما ندرناكي، كانت طواحين الهواء الجميلة المعلقة تدور في بهو. وتقول الأساطير إنه في مكان

ما من هذه المدينة كان يوجد قتال رومس الضخم، وهو أحد العجائب السبع في العالم القديم، وفي البناء كانت زوارق عديدة تجوب المياه وترفع أعلاماً الملون

مختلفة. إنها زوارق خاصة يمتلكها بعض أغنى أثرياء العالم.

وسأله تشاريتوس عندما اقتريا من مقعد تحت مجسومة من الانجمل الطفيلة:

«هل ترغيبين في الجلوس هنا بعض الوقت؟»

«ما الذي تريد يا تشاريتوس؟»

«هل تهتمين بي يا توني؟»

«ونظرت بعيداً إلى أشجار الخيل البانقة وقالت:

«ولا أعرف يا تشاريتوس، حقيقة لا أعرف».

«ولو أنك لا تهتمين بشئ شئيل لرفضت الحزج معي».

«إنني أحبك كثيراً».

«وبدا أنه غامع تماماً بهذا.

«أذن دعني الأمور تسير بصورة عادية».

«إنك عطوف معي يا تشاريتوس».

«وبعد لحظة قال:

«وعالي... سوف أشرى لك هدية».

«وعندما كانا يتجولان للتسوق من المتاجر. أحسبت توني أن ما تبلى لديها من اكتئاب قد تلاشي، وشعرت بالهجة مرة أخرى. وعندما سألتها عما تحتاج شراء، قالت:

«وبعضاً من أدوات التجميل التي أفضلتها يا تشاريتوس».

وسأخضرك ما تظنين.

طلبت توني ما أحست أنه ضروري بالنسبة إليها، لكنها تذكر الآن أن أدوات التجصيل هي من ضمن الأشياء التي ينبغي أن تشتريها بنفسها لو توافرت لديها الوقت، هل يشك الآن تشاريتوس في أنها لا تفعلك نفوذاً، كانت تصنى لو أنها تراجمت عما طلبت. وعندما اشترى لها ما أرادت، قال إنه يحترم شراء هدية لوالدته بمناسبة عيد ميلادها.

عاشها تشتت الخوازم، ولذلك لمسوف نتجه إلى متجر المجوهرات، أرجو معاونتي في الاختيار.

وأنتا لخصصها الخوازم المعروضة في محل المجوهرات وضعت يدعا يدون أن تشمر عل خلقها الذهبي المطعم بماسة جميلة يحيط بها أحجار الياقوت، والذي كانت ورثته عن جدتها.

أثار هذا الخاتم إعجاب الجوهري ومساعدته. وسألها صاحب المتجر إن كانت ترغب في بيعه.

وبالتأكيد لا.

وأسكت تشاريتوس أحد الخوازم وسألها:

وما رأيك في هذا؟

وبالنسبة إلي أفضل هذا الخاتم، ولكنك تعرف أكثر مني ما تحبه والدتك.

وأسكت توني بخاتم آخر وأخذت تفحصه، وكان صاحب المتجر ما زال ينظر إلى أصبعها.

«سيدتي... سوف أضع لك مبلغاً مناسباً.

ورد تشاريتوس في حزم:

«إنها لا ترغب في بيعه.

«ورثته عن جدتي... كان خاتم خطبتها.

«والذي زينا سيدة أمريكية. تريد هذا الخاتم بالذات، وسوف تدفع لك ثمناً كبيراً له...»

ورد تشاريتوس في غبطة هذه المرة:

«إنها لا تريد بيعه... جئت إلى هذا المتجر لتشتري وليس لتبيع.

ويرغم ذلك عرض الجوهري ثمناً مرتفعاً جداً أدعش توني. وقالت:

«لكنه لا ينبغي كل هذا المبلغ.»

وأعرب ذلك، ولكن السيدة الأمريكية لمجمع الخوازم من هذا الطراز إنه نوع من الخوس، إنها أرملة لديها أموال لا تحفل.

ونظر إليها تشاريتوس.

«هل تفكرين في عروسه عليك؟»

وهزت رأسها بطريقة تتم عن الحيرة، الأموال التي ستأخذها يمكن أن تغطي

كل ما عليها من ديون لباروس، ولكنها من دفع نفقات السفر بالطائرة لإعادة الأطفال إلى بلدهم، ويمكن أن يبقى لها بعض المال لشراء عدايا لهم

ولشقيقتها.

وأخيراً قالت في حزم:

«كلا... لا أستطيع بيع هذا الخاتم.

ورفع الجوهري الثمن بصورة اقترتها برغم ما يتطوي عليه الخاتم من قيمة عاطفية لها.

ونحول إليها تشاريتوس وهو يضع يده فوق يدعا وكأنه يريد أن ينسبها فكرة بيع الخاتم وهو يخطيه بيده.

«توني... لماذا تفكرين في بيع الخاتم؟ هل أنت في حاجة إلى مال؟»

وأومأت برأسها، واعتبرت أنها بحاجة إلى المال، وانظر صاحب المتجر، واسترق السمع، ولكن أماله خابت عندما قال: تشاريتوس:

«هذا الخاتم غير معروض للبيع.»

والجهد مع توني خارجاً.

«تشاريتوس... يجب أن أفكر في الأمر بعض الوقت.»

«ولن تبيعي هذا الخاتم، كيف يحدث أن تكوني في حاجة إلى المال. إن زوجك من أغنى الأمريكي في الجزيرة.»

وأقررت في الاتفاق، وبعد أن نفذت مخصصاتي، أصبحت مدانة بفلانوتسي حساب.

«ولمّا أصبحت مدانة؟ ولم كانت هذه النفقات؟»

«إنها نفقات سقري إلى انكفرتا. وليس ما اضطرت إلى تحويل الفاتورة على حساب داروس».

«ولكن لا بد أنه مدعاه».

«هزت توني رأسها وهي ترفف من كل عليها أن تضع نهاية لهذا الحديث. لقد فهمت أنه لم يمددها، طليت منه نفقات سقري، ولكنه رفض وضم على أن أدفعها من أمواله».

«ولم يجد تشاريتوس مبرراً لما يفعله داروس. وفي النهاية قال إن خسته، ورفضه قبول المسؤولية عن ديونها هي أكثر دليل على أنه لا يعتبر نفسه متزوجاً».

«وقال».

«قد يغضب الزوج عندما تصرف زوجته في النفقات ولكن لا بد أن يطلع في نهاية الأمر».

«وأخيراً استطاعت توني أن تغير موضوع الحديث. لكنه أثبت عودتها في السيارة. شعرت أنه يجب عليها أن تبني خاتمة وأن تتحرر من الديون. لقد فشلت في تحقيق هدفها في معاقبة داروس، كما أن الاستمرار في هذه المحاولات أمر مدمر ومن الأفضل ألا تنجس في ذلك».

«وتوقف تشاريتوس أول الطريق المؤدي إلى منزله وقال».

«توني... لن تبني خاتمة».

«دأبت أنني يجب أن أتبعه».

«كنت أفكر فيما يمكن أن تفعله... وقد تعرضت إلى حل. سوف أشتري الخاتم يا توني، ثم تستردنه بالشراء مني فيما بعد. كنت سأعرض عليك إقراضك هذه الأموال ولكنني أعلم أنك سترفضين... وأخذ يدها في رفق بين يديه وهو يقول».

«أقبل المقترحي يا عزيزتي... إنه اقتراح سليم تماماً».

«شعرت توني أنها غير قادرة على الحديث بسبب تأجيج عواطفها. ولكنها كانت تفكر هل من المناسب قبول هذا العرض إن تشاريتوس يقرب بسرعة نحوها. وهي لا تريد أن يصاب بأي سوء. إنها لا تعرف حقيقة مشاعرها نحوه. جرت توني رأسها فائلاً».

«والأمر سيكون أقل تعقيداً لو بيعت الخاتم للجوهرجي».

«وقال تشاريتوس وقد شعر بالمرارة».

«إن ذلك يعني شيئاً واحداً... أنك لست متأكدة من مشاعرك نحوني».

«لبت متأكدة... ولكنني أحببتك يا تشاريتوس أكثر مما أحببت أي رجل آخر صادفته في حياتي. ولا أعرف إذا كان هذا حياً حقيقياً الذي أشعر به نحوه».

«ورأت فترة من الصمت».

«وعيني أشتري الخاتم يا توني. سيكون يائساً لك إذا فكرت في استرداده مرة أخرى. وإذا لم تردي فسوف تأخذني والتفتي».

«وابتسم لها ورأت توني أنه لم يرضخ للأمر إذا لم تتطور مشاعرها نحوته بالطريقة التي يريهاها، واستطرد يقول».

«لن شعري بالسعادة عندما تعرفين أن الخاتم أصبح ملكاً لشخص غريب».

«لما متأكدة من قدرتي على شرائه مرة أخرى، إنه شعور طيب منك يا تشاريتوس. منته لك حقاً، لكن يجب ألا تدفع لي ما عرضه هذا الرجل، إن ما عرضه يزيد كثيراً عن ثمنه الحقيقي».

«ولكن هذا المبلغ سيجعلك تتعرين بالارتياح».

«لا يمكن أن تشتري الخاتم بهذا الثمن».

«توني يا عزيزتي... هذا المبلغ من المال لا يمثل شيئاً بالنسبة لي. وإذا كنت في ورطة مالية أرجو أن تعتبره موهباً. وسوف تستردنه يوماً ولن أجعلك تدفعين مبالغاً واحداً كقواند».

«ولم يكن أمامها إلا أن تستجيب لمشاعره. وبدت عليها ملامح حادة وهي توجه إليه بالشكر بعد أن حرر لها شيئاً بالمبلغ فوراً».

«لا أريد أن أخد منك الخاتم. ولكنني أعرفك جيداً الآن. ولا أريد أن أدخل مقلد في محادثات».

«قال ذلك وهي تناوله الخاتم».

«لا بد أن تأخذ الخاتم وإلا فاني لن أقبل الشيك».

«إنها معاملات تجارية بجملة. أليس كذلك... لا بأس على كل حال. ما زالت أمك... وطبع قبلة على وجنتيها... وفتح لها باب السيارة لتتزل».

«إلى اللذة، وأشكرك على كل شيء».

ولوحث له بيدها وبدأت السيارة تتحرك... واتجهت إلى منزله. وعندما اقتربت من الحديقة شاهدا الأبطال. وتعاثت أصواتهم وهم يستقبلونها.
«خالتي، توني، بليت بعيدة عنا فترة طويلة، خذينا معك في المرة المقبلة من فضلك».

وقال: «دقيقيد في زيارة الأبطال».

«لم يكن يستأد وجود العم داروس معنا... ولكنه على كل حال كان في الخارج أيضاً».

وقال: «روبي».

«دخل الآن لثورة... قيل دقيقة واحدة من وصولك... ولكنه لم يستطع أن يلعب معنا لأن لديه بعض الأعمال».

وذكر: «دقيقيد».

«اتصلت إحدى السيدات هاتفياً. ولم تستطع ماريما أن تفهم منها شيئاً، ولذلك لمحت بالرد عليها. وكانت تطلب العم داروس... لكنني قلت لها إنه غير موجود».

«هل كانت تتحدث الانكليزية؟»

«نعم... وبدأتها عن اسمها... لكنها قالت إنها ستتصل بالعم داروس فيما بعد».

وأضافت: «لوبي».

«ذكر ديقيد أن صوتها كان رقيقاً... من تكون هذه السيدة يا خالتي توني؟»

«ليس لدي فكرة».

«لا بد أن تكون صديقة للعم داروس... هل ستحضر لقابلته... هل تعتقدن ذلك؟»

«لا أعرف يا روبي... ربما».

«ولهم وجه توني وهي تصعد إلى غرفتها. ربما تكون أوليفيا، هل سيفتح عنها داروس إنها لوفاعة أتتصل بخطيبها السابق بعد أن تزوج بأخرى؟ ولكن ربما لا تكون أوليفيا، وفي أي حال فلم الاهتمام».

وبعد أن غابت صلابتها نزلت توني وأعدت للأطفال الشاي. كانوا يلعبون الكر يكيت في الحديقة. ثم دخلوا إلى البيت يلعبون الورق، وأخيراً دخل داروس الغرفة، ودعا الأبطال أن يشاركهم اللعب.

«حسنًا... سأذهب معكم دوراً واحداً. حان وقت النوم».

وسأل: «داروس».

«من يقيد ما نسجله من نطق».

وردت: «لوبي».

«ليس لدينا قلم رصاص».

«ولكن ينبغي أن يعرف كل واحد ما سجله من نطق».

وقالت توني:

«أبحث عن قلم يا روبي في حقيبتي».

«كان القلم بالطبع في قاع الحقيبة. وظهر بعدما أخرجت توني رسائل وابصالات وأشياء أخرى كثيرة لا بد أن تجد طريقها إلى حقيبتي يد أي سيدتي...».

فسأل: «روبي».

«هل أعيد الحقيبة إلى مكانها».

«لا... دعها... سأخذها معي عندما أعود إلى غرفتي».

وبعد مضي عشرين دقيقة أعلن داروس أنها اللعبة، حان موعد النوم. وطلعت توني خلال نصف الساعة التي تلت ذلك مشغولة في إعطاء حمام للأطفال قبل النوم. وعادت توني إلى الغرفة. كان داروس يقف في الشرفة، واستدار في بطن عندما سمعها تدخل. ولاحظت أنه يسك بيد الشيك الخاص بها.

وقال بصوت ناعم أشبه بصوت التعرّيل أن ينقش على غريسته:

«وما هذا؟»

«أنت شيك خاص بي... لا بد أنه سقط مني، أشكرك، هل هناك شيء غريب؟»

وسأل: «كما لو كان يوجه اتهاماً لها وبدأ الغضب والحسب في عينيها».

«هناذا تفعلين شيك من تشاريتوس ليونيتي».

«أعطيني إياه بعد ظهر اليوم... إنه مقابل».

«بعد ظهر اليوم... كنت معه بعد الظهر».

«نعم... وماذا في ذلك؟... كنا معاً في رودوس في جولة سياحية».

«لأنها قالت على سطح القصر ما بدا أكثر دهاء».

«تقولين إنك كنت مع رجل في جولة سياحية أتركين ثلاثة أطفال قد يتعرضون

أبي ضراء

«عرفت أنت أنني كنت في الخارج».

«قال الأطفال إنك كنت في الخارج لكنني فهمت أنك ذهبت إلى لينتروس لتسرق بعض الحاجيات».

«حسناً... ولكنني لم أشر شيئاً ذهبت إلى روتوس لأول مرة منذ أن وصلت إلى هذه الجزيرة وأسمح لي أن أسألك بأي حق تعترض على ذلك».

«لم يكن قد اعترض بعد ولكنه كان يعتز الاعتراض. وبشدة كان هذا واضحاً من تعبيرات وجهه».

«كنت في الخارج طوال اليوم».

«قابلت تشاريتوس في الخلية عشرة صباحاً».

«ثم عدت مع موند الثاني، تركت هؤلاء الأطفال حس ساعات».

«لهم ليسوا أطفالاً، أعطني الشيك من فضلك».

«لم تكن توني تعرف أن القصور الذي تحدث به سوف يثير غضبه، فقد اقترب منها في حق وهو يستلم».

«كيف حصلت عليه».

«وخطرت لها فكرة، قررت فجأة أن تشعره بالعار».

«وكان يتعين علي أن أحصل على المال من أي مكان، بعد أن تأكدت أنك لن تنفع لي شيئاً».

«وسأت فترة من العمت، وتصرفت توني لحظة أن داروس سيهجم عليها ويقبض يديه على عنقها، ثم تحدث داروس أخيراً».

«إنه شيك لسداد شي ما... ما هذا الشيء».

«وتذكرت توني جزء مرة أخرى رأت الشرر يتطاير من عينيه ومساءلت... ترى هل سينقبض يده على عنقها؟

«كان يسلك بينها ويلوي معصمها، فصرخت، ولكنك من التخليص منه».

«وقالت».

«وتركتني من فضلك».

«ليس قيل أن أعرف كيف حصلت على هذا الشيك، مقابل أي شيء أخذه».

«وما دعت قد وصلت إلى استنتاجك أعتقد أنه ليس هناك داع لمزيد من الإيضاح، ولا ترفع صوتك، أرجوك».

«كانت عينا داروس تنوهجان بلهيب القبط وقبضته تشد في عنق على معصمها ولم تحول وجهه إلى لون لرمزي وقال».

«لمعرفت خطورة ما تفعلين الآن لما تقاديت في تحديك لي. وأجبت على سؤاله».

«وما هي الاجابة التي تريد؟ ألمعت أنت فعلاً أنني...».

«حسناً... ألت كذلك حقاً».

«إنك شخص بغيض، أي نوع من العنصرية لمعك تصل إلى هذا الرأي».

«وكادت توني تصرخ بالكية بعدما شعرت بالألم في ذراعها».

«وما الذي فعلته بالألوان الخمسة التي حصلت عليها».

«هذه المسألة تخصني وحدي».

«وكان رد داروس على هذه الاجابة أن مرق الشيك ووضع على المائدة».

«وتحولت توني بنظرها إلى المكان الذي يلزمها في رشح بعدها، لكنها لم تشعر أبداً بالخوف، والواقع أنها أحست فجأة أن قلبها يبق في ضربات سريعة».

«داروس».

«لن تقل أي أموال من تشاريتوس لينتري أو من أي رجل آخر هل هذا واضح».

«أرفض تماماً الاستمرار معك بدون أن يكون معي دراجا واحد في جيبي، وسوف أصعب لأشكسب وزكي».

«تعملين وأنت تهينين ثلاثة أطفال».

«عندما يعرفون إلى بلدهم».

«وزوجي لا تعمل».

«وردت بعد أن لقد صبرها».

«هل كنت في يوم ما لا تمسك دراجا واحد في جيبي».

«أعيش في حدود إسكانياتي، ولا أختزن شيئاً».

«ولم تعأ توني بما قال، بل أكدت له عزمها على العمل».

«استطيع أن أعمل في لينتروس، في متجر السيد المشيمو».

«يبدو أنك قد توصلت معه إلى اتفاق أولي».

«لقد نالته الأمر معه. السراح يعطيهم أن يكون المساعدون من الانكليز».

«ولكنني أمتنع من العمل، هل تعتقدن حقا أنني أسمع لزوجتي بالعمل هنا؟ في
قربني؟ لدى صاحب متجر للهدايا التذكارية؟»

«لا تستطيع أن تفعل شيئا».

«كلّا. يا فتاتي. عندما أتصل بالتميم صباح غد سوف يبحث فوراً عن
مساعد آخر غيره».

«لا أستطيع البقا من غير مال. لا أستطيع حتى أن اشترى للمشي زوجاً من
الجواريد. ولا بد أن تعطيني شيئاً من المال».

«حسناً جداً... سوف تحصلين على ثلثصائك في الصباح، وسوف تأخذينها
بانتظام، ولكن أريد أن تديري أمرك في المستقبل».

ونظرت إليه بدون أن تصدق، انصرفت معلاً. كان انتصارها بادياً على وجهه،
وعلى الانهزامية شفيتها، وشعرت توني أن خططها للانتقام منه بدأت توحى

لها. لكنها البداية فقط، وستكون نفقات سفر الأطفال الثلاثة هي الطلب
الثاني لها. وربما تستطيع في النهاية أن تقوم بجولة سياحية في الجزر كما كانت

تعزم من قبل.

كانت توني تصف شعرها في لرفتها عندما أحست بوجود داروس وراءها،
وقالت بصوت أجن:

«ماذا تفعل هنا؟»

وأغلق داروس الباب، وتقدم بخطوات بطيئة داخل الغرفة. ووقف خلف
كرسيها يتشم لها، وعدم قائلاً:

«طالما أنني سأدفع، فلابد أن أخذ شيئاً مقابل مالي».

وفجأة جذبها ناحية في عتب محاولاً لتبيلها وقاومته. ثم تركها وهو ينظر إليها
نظرة ساخرة.

«اخبرت لجاهل نصيحتي يا توني. حزنك. ربما تذكرين. إن صبري لن يطول
إلى المدى الذي تتوقعينه. حزنك كذلك من أن وضع زواجنا يمكن تصحيحه

بسهولة. كان ينبغي عليك أن تأخذي حذر، ولكنك سمعت على إنلرتي، والآن

ستلعين ثمن حافلك».

«تفقد نسخ الزواج».

«ستطيع أن تنسى ذلك».

«نسى... معنى ذلك أننا سننسى متزوجين».

«هل لديك مانع... سوف أصبح سخيلاً أكثر من قبل... المُرّ يذبلع مقابل
مراته...»

«إنك تتعير استنزائي... لا أريد أن يستمر زواجنا».

«إنه لأمر سيء... كان ينبغي عليك أن تفكري في الأمر قبل أن تعسسي على
إنلرتي».

وفكرت توني بسرعة، وفكرت أن تعلقه بكل شيء. ربما يجد - عندما يعرف
لماذا أثارته - مبرراً لها، ويتركها لحالها.

«داروس... أستطيع أن أفسد لك كل شيء».

«أفي شيء؟» تشارليوس... هل سمعت له بأن يشارلك... أو ربما أسرع في
استخلاص الأرا. فكري معي. كان الشيك يبلغ كبير، وربما كان مجرد قرض...»

«تفكيرك شرير خاطي... إنني أكرهك».

«بالطبع تكبريني لأنني أولفت كل محاولة لك ترمي إلى فرض سيطرة امرأة
انكليزية علي... ولكنني ما زلت عاجزة عن فهم الياعث على كل محاولتك رغم

أنك تعلمين أن زواجنا لن يدم... لو كنت تصرفت معي بطريقة طبيعية... كنا
عشنا في سلام معاً. كما يجب أن تفعل من الآن فصاعداً».

كانت توني تلت صامتة هادئة، وكان داروس ينظر إليها كأنه يتوقع
اعتقاد منها.

«حسناً... ألا تعترضين إنداً أي مقاومة؟»

«اعتقد أنك تريد ذلك».

«نعم... أفضل ذلك».

«لكني مستعرضة لثقتك كرجل. وفخرج منتصراً. لن أوفرك هذا الشعور
بالارتياح».

«فريت منتصراً لعللاً...»

وضحك توني.

«هذا هو ما تعتقد. وسوف تشعر أنك كنت تعيش في وهم عندما تكتشف أنك

كنت تغازل امرأة كلوح الثلج.»

«لوح ثلج... يا عزيزتي... لماذا تصرين على الالتلال من قلبي؟»

٧ - الجبهة هادئة

وخلال الأيام القليلة التي تلت ذلك كانت توني تشعر بالغيظ بينما كان ود فعل داروس مجرد غدا الصبر الذي يتسم بالليل. ويبدو أنه استسلم نهائياً لفكرة جعلها زوجة حقيقية له..

وكانت توني غالباً ما تتذكر ذلك المشهد في بيت جده... عندما أجس داروس بالاحباط لفكرة الزواج منها باعتبارها الحل الوحيد للمشكلة حيث انفجر غاضباً وقال:

«يقع السبا' ملذا أقبل بامرأة كهذه في البيت؟»

والآن، يبدو أنه راعب في الآلاف عليها بقية حياته، ولكنها الرغبة، الدافع الذي يتعثر كيته لا متلاكها. لا شك أن هذه الرغبة تشغل اهتمامه الوحيد بها.

كانت توني تنظر إليه وهما يتناولان العشاء وتساءل لماذا أصبح اهتمامها مرتبكاً على هذا النحو؟ كان يوم عيد في كريفاسني حيث ولدت ماري. وكان البيت كله مضطرباً بالسرور. وكانت توني تعجب من نفسها كيف يسمح داروس بكل هذه الهجة. إن شخصاً له مثل طابع جده كان ينبغي أن يكون وثيقاً.

ولقد داروس وهو يصحك بدعشة.

«كم هو قليل ذلك الذي يعرفه كل منا عن الآخر يا توني. ولكن من الآن سوف نكتشف بعضنا البعض. أنت مثلاً. إنك تثيرين حيرتي.»

وردت عليه بسرعة:

هولكني كنت جذابة الليلة.

ووافق قاتلاً في تيرة ودية.

«إنك جذابة بالتأكيد قررت منذ فترة بعيدة أنني سأكون سعيداً جداً معك. منذ لمحيري إليك الذي جعلته بدون روية.

وأختر وجهها خجلاً. كان الجرح شاعراً سليماً. وشعرت توني أنها تأمل لو أن حبسها لم ينقلب كعادته إلى الشجار.

وقالت توني:

«قلت إنني أثير عورتك... مالمذا تقصده بذلك؟»

وانتظر داروس حتى انتصرف خادمه وأغلق الباب ثم قال وهو يبتسم:

«إنني مدين لك بالاعتذار بالنسبة لمسألة تشاريشوس. لماذا لم تنف عتاك الاتهام الذي وجهته إليك؟»

وشعرت بشي يمد حلقها ولما جأت داروس عندما قالت:

«لقد أحسنتي بما جعلني أشعر بالغيث ولذلك تركتك تفكر أنني لست فاضلة...»

«أعتك! إنني لا أكاد أصدق أنني تسببت في إحسانك.»

وقلت لو أنه لا يستعمل الطريقة المتشككة معها. وقالت:

«إنك لا تحب الانكليزيات. أليس كذلك؟»

«إنني لا أحبهن أبداً.»

«ومع ذلك يحبك أن تكون متزوجاً من إحداهن؟ إننا لا نستطيع أن نفسخ الزواج الآن كما تعرف.»

وقال وهو يرمقها بنظرة غريبة في ضوء الشمعة الخافتة:

«أعرف بالطبع. وكما قلت لك وجدت أنك فائتة.»

وقاطعت في غضب:

«وهذا يكفي للرجل اليوناني...»

هولكني لست يوناني...»

«ألا يضايك أن تكون نصف إنكليزي؟»

وهجك داروس ورفع حاجبيه:

«فأت الرقت الذي أعجب فيه بسبب زواج والذني من إنكليزي»

ثم نظر إليها طويلاً وقال:

«هولكن... لماذا قدم لك هذا السيك يا توني؟»

«وعلق قلبها. لا شك أن لصقة السيك تنير غضبه.»

«بعت خاتمي لتشاريشوس...»

ونظر إلى أصبحها. كانت تضع الخاتم في أصبع يدها اليسرى كخاتم الخطوبة. وسألها:

«بعت خاتمك؟ ولماذا أراد تشاريشوس أن يشتري خاتمك... ولماذا رغبت في بيعه؟»

«لأنني لا أملك تقرباً بالطبع.»

ومرت لحظة صمت رهبة قبل أن يسألها داروس في ذعر:

«وهل جعلت تشاريشوس يصدق أنني أمتع عتاك المال؟»

«ثم يحدث هذا عن عمد. كنت أعتزم بيع الخاتم لباتع المجوهرات في رودوس... ولكن تشاريشوس لم يسمح لي بذلك.»

«لم يسمح لك بذلك؟»

«وسأل في ذهنة.»

«إلى أي مدى يرفض عليك سيطرته؟»

«لا تني نفسي. يداروس. لا أريد أن تشاجر.»

«إنك تتجهين إلى الشجار. إنك لن تنمي أبداً... ماذا تقصدين جعل أحد جهراتي يعتقد أنني أمتع عتاك المال؟»

«قلت المسألة كانت مجرد صدفة. رأى باتع المجوهرات خاتمي وعرض علي شراء. وكان عرضه مغرياً جداً. وهكذا عتني تشاريشوس أنني لا أملك أموالاً...»

«وصحبت فترة ثم استعربت قاتلة.»

«هنا كل شي... عزمت تشاريشوس أن يشتريه... وامل أن أستمره ذات يوم.»

«إنك غسبة... باستطاعتي الآن أن أخفك بهدي... وأستمتع بذلك... أنتهزين بي في كل أنما الجزيرة. ويجعلين الكل يعتقد أنني أمتع عتاك المال...»

«تشاريشوس لن يقول كلمة واحدة لأي شخص... ولماذا يقول؟»

«ورداً داروس يعتقد:

هوالته أكبر كاشفة للأسرار الشخصية في الجزيرة.

ربما عرفت السيدة ليرنيش الآن بالقصة. ولا شك أنها ستروجيها مع إضافة
مبالغات كثيرة إليها.

وشعرت توني أن صبرها لن يندفع.

«لا أعتقد أن السيدة ليرنيش سوف تبالغ في سرد القصة، إنك تقول ذلك الآن
لأنك تشعر بالغضب، أنا متأكدة أن تشاريخوس لم يذكر هذه القصة
لوالدته. وحتى لو قالها لها... فإنها لن تجرؤ على ترويجهما أبداً.

ومرت لحظة صمت. وكان داروس يتناول طعامه وهو يرمق توني بنظرة
أثارت وميضاً في عينيهما وقال:

«لا بد أن تشعري هذا اهتمام فورياً صباح غد، وإذا لمعت مثل هذه الأمور مرة
أخرى سوف أكرس عنقه».

ولم تعد توني لتحتفل أكثر من ذلك. فالتفت غاضبة وقالت:

«كل هذه التهديدات بالتعاقب لا تنسي أنني تقاتلت مع جدك»

وما الذي تصديقه بأنك تقاتلت معه؟ وصلت أنا والدتي قبل أن نتنازع له
الفرصة للاعتداء عليك... انتزعت أنا الحقير منه».

«إنك لا تعرف كثيراً عما حدث... ظننت أنني مع هذا المجنون عشر دقائق
كاملة قبل أن تعزل».

وفي غضبه وطلب منها أن تروي له كل شيء بالتفصيل:

وروت له توني ما حدث مع جد.

وبدا الندم والأنى على وجهه وقال:

«هل هذا صحيح؟ ولماذا لم تقول شيئاً لذلك لم تطلي شراً أو غير ذلك...»

«أطلب! كان ينبغي عليك أن تقدم لي شيئاً كان اهتمامك أنت والدتك متصباً
على جدك فقط، وعلى كيفية إبعاده عن السجن. تاملت وتاملت أدق من نفسي
ولو لم أكن قوية لتنتهي في ثوان بعد أن هاجمني».

ولاحظت توني أن الوصف الذي أوردته لها المشهد مع جد جعله يشعر
بالغضب من نفسه، وبغورها بقوله:

«إن ما قلته مدحاة كاملة لي يا توني. ظننت أننا وصلنا في اللحظة التي بدأ

لها ما جعله. لم تكوني قريبة منه عندما كسرت الباب واقتضت الغرفة.

ورأيتها باهتمام وهي تقول:

«سمعتكما... ورغم ذلك استطعت أن أدفعه بعيداً على الأريكة على أمل أن
تدخلوا قبل أن يتمكن من مهاجمتي مرة أخرى».

«ولكن لم يبد عليك أنك كنت في محنة وقتها».

«لم نحاول حتى أن نتفكر في... وكما قلت كان اهتمامك متصباً على جدك... كانت
والدتك تقول له «لن نتحلى لك بالدخول في مشاكل» ولكنها لم تعياني...»

وسكتت توني وراح داروس ينظر إليها بعينين خيلتين. وقال:

«هل قالت أمي ذلك...»

«ربما تكون مخطئة... ولكنها قالت شيئاً بهذا المعنى».

«بالإنكليزية».

«بالطبع... لا بد أنها قالتها بالإنكليزية».

«لا بد أنها قالتها بالإنكليزية... بعد أن استجبت أنك لا تفهمين اليونانية».

وقبل أسبوع من موعد عودة الأطفال إلى بلدهم، تلقت توني رسالة من
والدتها تحمل أنها خطيرة، ومرة أخرى وجدت توني نفسها في موقف يتطلب

منها أن ترسل إلى شقيقتها بعض المال.

وقالت لداروس وهي تتناول معه طعام الإفطار:

«أصبح ضرورياً لشقيقتي أن تجري عملية جراحية».

«وكان الاهتمام بادياً على وجه داروس وهو يسأل:

«هل هي خطيرة؟»

«والذي لم تقل ذلك في رسالتها، ولكن يبدو أنها لا تريد أن تلقتني، يا ترى ما
الذي ستفعله بأم الأطفال سيعدون الأسبوع المقبل».

وتحدثت توني بعض الوقت في أن تفصح لداروس عن الذكرة التي تدور
في رأسها. لقد أصرت داروس من قبل على أن تستعيد خاتمتها واعطائها بعض

التفوق لكنها تلقت منه في الوقت نفسه محاضرة، وتهديداً، وكانت هادئة جداً
وخاتمة عند ذلك الحين. وأخيراً تجرأت وقالت:

«أعتقد أنه من الأفضل أن أبقي في الإنكليزا فترة من الوقت لأهتم بالأطفال...»

«تفهم... ولكنك لا تفهمين في انكسار»

وكانت توني على وشك أن تقول له إنه لا يستطيع أن يمنعها من ذلك ولكنها أمسكت عن القول لسبب، الأول أنها تعتمد تماماً على أمواله، والثاني أنها مدينة له لما فعله للأطفال من مأكّل، وملبس، ومتعة... لقد استمتعوا بأجازه رائعة ولم يخل عليهم بشيء. وقالت توني:

«إن بام يحتاج المساعدة يا داروس»

«ألا تستطيع والدتك أن تبقي الأطفال لديها»

كان يقرأ رسالة ولكنه نكحاً جانباً ووجه كل اهتمامه إلى توني:

«أتوقع أنها تستطيع، ذكرت لي في رسالتها أن الأمر يستوجب ذلك»

ولكن توني أوضحت لزوجها وضع والدها التجاري، وكيف أنه يتعين عليها أن يكرس كل وقتها للتجاري ليرافق أهر الساعد وأنه على والدتها أن تأخذ الأطفال معها في بيتها بسبب بعد بيت بام... إلا أن هذا التنظيم قد يسبب أيضاً بعض المتاعب لأن الأمر يستلزم نقل الأطفال إلى مدينة أخرى كما أن بيت والدتها فيه غرفتا نوم فقط...

«غرفتا نوم فقط لا تكفيان لعائلة مختلطة»

«ربما تام ليس في الطابق الأرضي»

«أليس هناك شخص آخر يستطيع رعاية الأطفال»

«هزت توني رأسها بالنفي»

«لمنت لدي شقيقات أخريات... كما أن هيو غير متزوج»

«نظرت توني متوسلة إلى داروس ليل أن تصيح»

«وأعتقد أنه من الأفضل أن أبقى معهم بعض الوقت عندما أعود بهم إلى انكسار»

«هز داروس رأسه بالرفض نهائياً. وصرخت توني بالهتاف ليس هناك إلا سبب واحد لهذا الموقف المشدد... لا بد أنه اعتاد على وجود امرأة إلى جواره»

«وعادت توني تقول»

«إن واجبي يحتم عليّ مساعدة شقيقتي»

«بالأكيد إنه واجبك، لعل أفضل طريقة للخروج من هذا المأزق في رأيي أن يبقى الأطفال معنا هنا إلى أن تتحسن حالة بام وتستطيع استعادتهم»

«هزت توني أن تقول شيئاً»

«لا تقاطعيني يا توني. كل من الصعب السيطرة على الأطفال عند مجيئهم»

«وبنوف يتعذر ضبطهم مرة أخرى»

«ليس لديك فكرة كبيرة عن طريقة تحكمي فيهم»

«لمنت لدي فكرة على الإطلاق... لو لم أكن حازماً في السيطرة عليهم لكان حالم الآن أسوأ مما جازوا»

«إنك ما هر جفاً في أشياء كثيرة»

«اكتسبي إلى بام وأخرجها أننا سنبقى الأطفال معنا هنا إلى أن يخرج من المستشفى»

«هل فكرت جيداً»

«ولكرت توني. كيف أمراً ينقل الأطفال من بيته وقالت»

«لم أجههم في أول مرة»

«فزعت في يائي الأمر من فكرة وجود ثلاثة أطفال أشقاء يقرسون وجودهم عليّ»

«وبدون أي إنذار ولكن ينبغي أن أقول الآن إن شقيقتك ثلاثة أطفال جنابون»

«وبعد أن استطعت السيطرة عليهم لا مانع لدي من بقائهم طالما أنهم سيظلون تحت رعايتك، وليس تحت رعاية حاريا التي لديها أعمال كثيرة»

«تركهم مرة واحدة فقط لحاريا»

«ألا تكلمين عن هذه التعليقات الغبية السخيفة... من المفروض أننا نعالج الآن مشكلته»

«سوف أكتب رسالة اليوم ليام وأخري لوالدتي التي لا بد أنها تشعر بالقلق لعدم عودة الأطفال، إنهم سيبقون بعيداً عن المدرسة خلال وجودهم هنا، وأرجو ألا يطول ذلك»

«ولكنهم سيذهبون إلى المدرسة هنا»

«وهنا، ولكنهم لا يلهمون اللغة»

«إذن... إنها فرصة ممتازة لكي يتعلموا، ومإذا عن المال؛ شيفتك تحتاج إلى بعض منه... أرجو أن تيلفني بالمبلغ الذي تريده وسوف أقوم بتحويله إلى البنك في الكتلة».

ولم يكن أمام توني إلا أن يصدق به ولا تصدق ما ترى وتسمع. فالزوج الذي كان بغيلاً جداً أصبح الآن راعياً في دفع المال من أجل راحة وسلامة امرأة لم يقابلها من قبل. وهذه المرأة واحدة من القبيلة الانكليزية التي يكرهها. وعندما استطاعت الكلام قالت في ذهول:

«أستعطي المال اللازم لشيفتي».

«في الوقت الذي أمتعه عنك... أليس كذلك».

«بالضبط».

«ولكنك طلبت بعد ذلك».

وربث على خدعها فغالت:

«أنا زوجتك».

والآن نعم... ولكن قبل ذلك لم تكوني زوجتي. سيانك تدل على أنك فتاة عديدة شديدة الرأى... ولكن كما قلت لك في الليلة السابقة إن تصرفاتك مخبرتي جداً. واقترب داروس منها في مودة بالغة، وأحست توني لأول مرة بشاعر الحرية تحتها. كانت تنظر إليه وهو يمدق في عينيها ثم انتقل بنظره إلى شعرها وخديها وأحس وأسد يعانقها لأول مرة بدون شهوة ولا رغبة. وقالت بسرعة:

«داروس سأكتب إلى شيفتي. يام اليوم، وإلى والذي أيضاً».

«نعم يا عزيزتي... ذكرت لي ذلك من قبل».

«هذه الرسالة ستجنيهم القلق».

«فعلًا».

والأطفال سيستمعون بالبهجة عندما يعلمون».

«هلا شك».

واقاطعها قائلاً وهو يضحك:

«توني... هذا الحوار قد يستمر إلى مالا نهاية، إذا أردت أن تلحقني باليريد عليك

أن تشككي الآن فوراً».

وتابعته بعينها وهو يتصرف، تغير داروس كثيراً، ولا بد أن هناك شيئاً لذلك. «فالها لي مرات عديدة: إني أحبه». وبدأت توني تكتب رسائلها وهي تتحرر بالسعادة. نسبت ملاحظاته البغيضة عن الفتيات الانكليزيات، وذهبت لتفهدا بالانقسام منه. بل صلحت عن كل تهديداته العتيقة.

وجاءها الرد من شيفتها بعد أسبوع. وقرأته داروس. ولاحظت أن الاهتمام يبدو عليه كلما استمع إلى فقرات الرسالة تقول:

«إنها أخيراً مدعشة يا توني. أرجو أن تيلفني زوجك امتثاني له. لقد ذكرني الطبيب من قبل أن العملية الجراحية عاجلة جداً. ولكنني اضطرت إلى تأجيلها بسبب الأطفال. أما الآن فإني أستطيع أن أتوجه إلى المستشفى فوراً. إن زوجك بالتأكيد شخص لطيف. لقد قررت أن أوفر بعض النقود عندما أعود إلى العمل لأتمكن من زيارتك في العام المقبل».

وتوقفت توني عن القراءة وقد شعرت بغصة في حلقها. يام متفائلة جداً أو ربما تحاول إدخال البهجة إلى نفسها، فلن تستطيع أبداً إخبار أي أحسان لطيفة لغات السفر جواً لأربعة أشخاص.

ويبدو أن داروس كان يفكر بالطريقة نفسها كما كان واضحاً من النيات التي بدت على وجهه. ثم استأنفت توني قراءة الرسالة.

وأما بالنسبة إلى المال الذي يرغب داروس في إقراضه له فإن عشرة جنيهات ستكون كافيه. أريد فقط شراء بعض الأشياء المتواضعة أخذاً معي إلى المستشفى.

وتوقفت توني وتركت الرسالة تسقط على المائدة وقالت:

«ألا ترى أنها شجاعة حقاً... إنك لا تعرف كم عانت منذ وفاة زوجها».

«أستطيع تصور ذلك».

ثم أمسك الرسالة في يده وأعاد قرائتها.

«هل قلت لها إني أعزم إقراضها فقط».

«لا».

«لا بد أنها فهمت خطأ».

«ليس خطأ أسأت الفهم عن عمق حدثك من قبل عن عزة نفسك. إنها لا تريد أن تأخذ أموالاً مني. وكان عليّ أن أنشري هدايا للأطفال».

«ولكن لا بد من إقناعها بالحصول على بعض المال. وبالتأكيد أكثر من عشرة جنيهات».

«لكنها سوف تصر على تسديدها».

«ستفكر في ذلك فيما بعد ما هو المبلغ الذي تحتاجه في رأيك وسوف أقوم بتحويله الآن فوراً».

وسكنت لحظة ثم قال وقد بدأ التفكير العميق في عينيه:

«وأعتقد في أي حال - أنه باستطاعتك زيارتها في المستشفى. وإحضارها معك ليجرد أن تكون قلقة على ذلك».

وفوجئت. توني بما سمعت ونظرت إليه عاجزة للفترة من النطق بكلمة واحدة ثم قالت في دهشة:

«أحضرها هنا! أتعني ما تقول؟ ستدفع لها أجره البصري».

«بإم - ستحتاج لفترة من النقاهة! وسوف تستعيد أسرع من الطقس هنا ومن هوا البحر كما أنها ستكون مع أطفالها».

وهزت توني رأسها في حيرة شديدة. ودمدت بكلمات تعني بها أنها لم تعد تفهم أبداً.

ورده قائلاً وهو يتهم:

«وهكذا أصبحنا متشابهين. لأنني أنا أيضاً لا أفهمك...».

كان لا بد أن تعرف أنها اتست بكل الصفات التي يكرهها أي رجل. كانت طهاة متحدية وقحة... أسرفت في التلقات بدون اكتراث وأرغست. داروس على دفع ما لم تستطع أن تأخذه منه بأية وسيلة. تعمدت أن تهرجه أمام أصدقائه رجال الأعمال. وأحضرت إلى المنزل ثلاثة أطفال تتعصر السيطرة عليهم. وكان هذا هو الوحيد من ذلك مضايقته.

ولكنها كانت تنسب بصفات طيبة أيضاً. كان واضحاً أنها تحب الأطفال وتهتم بشاغلها بام وأبوجها. ثم كان هناك سلوك توني الذي تغريز نحو زوجها. لا بد أنه لاحظ طريقته اللطيفة. فلم تعذبه أو تعذما. ولكن ربما لم يعلم مشاعرها

العميقة نحوه وظل يراقبها وهو يتهم. وكانت هي تفكر في كل شيء وتستعرض ذكرياتها معه منذ لقائهما الأول. أليس من الأفضل أن تبدأ معه صفحة جديدة؟ وإن تعرف له بأنها تفهم لغته. ولكن كيف سيكون رد فعله عندما يكتشف ذلك. إنه يعتز بنفسه وربما يضايقه أن يعرف أن توني كانت تفهمه. وقررت توني ألا تروح له بذلك. سوف يأتي الوقت الذي تحدث فيه باليونانية. إذا قنر لها أن تعيش معه بصفة دائمة. وهكذا يبدو الأمر طبعياً. لأن داروس سوف يستنتج أنها تعلتها بالاختلاط مع السريدين من ميكلن ليندروس كما تفعل الآن.

٨ - الحب الآخر

ومع حلول منتصف شهر أيلول سبتمبر، كانت بام في رودوس في رعاية شقيقتها توني حتى تستعيد صحتها كاملة.
«لا أريد منك أن تبذل كل هذا الجهد من أجلي».

قالت بام وهي ترى شقيقتها تحضر لها إفطارها وتجلس في سرير كبير أبيض، غطاه الساتان الأزرق فوقها، وسكنت توني القهوة لشقيقتها وقالت: «قال داروس منذ البداية إنك لا بد وأن تتعسي بالراحة الكاملة هنا... وهو يريد دائماً أن تقلد تعليماته حرفياً»
«أنت سعيدة الحظ يا توني، إنه شخص لطيف».

وجلس توني على حافة السرير إلى جانب شقيقتها لتتطلع إلى الأكرودوليس بأسواره المزينة وتهدت وهي تفكر إن العلاقة التي تربطها بداروس لم تتطور بالطريقة التي كانت ترغبها، صحيح أن داروس كان يضعه أياهم بعيداً عن البيت بنجر بعض الأعمال، ولكن عندما يكون معها لا تحس منه بأي تغيير في مشاعره لجمالها، منذ طبع على خدها قبلة تصورت أنها مقبلة بالحنان ثم تنهت إلى وجود شقيقتها بجوارها وقالت:
«صحيح... إنه لطيف».

كان أمراً غريباً أن تنفق مع بام في الرأي بينما هي منذ فترة قصيرة فقط تصورت أنه أكثر رجل قابلية حقارة وبنائة وعبرقة.

وبعد أسبوعين، سمع الطبيب لبام بأن تسبح، وخرجت هي وتوني إلى

الشاطئ، تستمتعان بحره الممتع، كان الأطفال في المدرسة أما داروس فكان يعمل في البيت، لكنه لم يبق بها في النهاية إلى الشاطئ، وقد ارتدى بظلالاً قصيراً وتصبأ أبيض وأغشى عينيه ورة نظارة شمس فاقدة. كانت توني تنظر إلى شقيقتها وهي تتطلع في إعجاب إلى داروس، كان واضحاً أنها تكن له كل مودة. ولكن توني وشقيقتها أحسنا اليوم ببعض الحيرة والقلق عندما علمتا أن داروس كان بصحبة «امرأة أخرى». علمت توني بهذه الحقيقة في ذلك الصباح فلطم من تشاريوس الذي قابلته صدفة بالقرب من مكتب البريد فقد بلغها رسالة.

ومن هذه المرأة التي رأيتها مع زوجك في رودوس؟

وأحرز وجهها وقمت في نبرات قلقة.

«لا أعرف...»

ولكنها في الواقع كانت تعرف، لأنها سمعت داروس يتحدث موعداً على الهاتف مع شخص آخر. وتذكرت توني أن أوليليا اتصلت به في مناسبات كثيرة قبل سفرها إلى انكلترا لتطش على شقيقتها بام... ومنذ عودتها ظلت تتساءل: من يدري لعلها كانا يلتقيان أثناء غيابها!

وقمت توني لو أنها قابلت أوليليا فهي تعتبرها الآن غريبها التي قد تحطم زواجها ذات يوم. وتساءلت توني:

«ها ترى ما شكلها؟»

لا شك أنها تستطيع مواجهتها بطريقة لمعالية أكثر إذا عرفت والمزلة قوة خصمها!

وجاءها الرد من تشاريوس:

«إنها امرأة، طريفة، جميلة جداً، ألا تعرفينها؟»

وتوقفت توني عن الحديث عندما شاهدت شقيقتها بام تخرج من مكتب البريد وقالت:

«بام... تعالي لتتعرقي على صديقي تشاريوس ليوتشي، إنه يقيم في البيت الضخم على سفح التل، البيت الذي أعجبت به عندما كنا نقوم بزيارة يوم أمس».

«نعم أعرفه»

وسأل تشارليتون:

«اتسحان لي بدعوتكما لتناول القهوة؟ القهوة انتهى هناك يقدم لهما بالخليب إذا كننا لا نريدان القهوة التركية».

واعترضت توني:

«لا أظن أن لدينا وقتاً لذلك. الأطفال سيجعون إلى البيت قبل عودتنا، ربما نلتقي في وقت آخر».

وانصرفا ثم قالت بام:

«توني... سمعت ما قاله هذا الشاب».

«عن أوليفيا... تقصدين؟»

«نائن فأنت تعرفينها»

«لم تتقابل أبداً، ولكنها حبيبة زوجي السابقة».

وقالت بام بعدة:

«وما زال يخرج معها! لم تذكر لي أبداً كيف تقابلت مع داروس... سأنتظرك مرة ولحيت الرد علي».

وقالت توني في تردد:

«إنها قصة طويلة يا بام، وليست سريرة. والحقيقة أنني لا أعرف إذا كان ينبغي أن أروي تفاصيلها لأي شخص».

«ولكن يجب أن تخبرني لي. جعلت منها لغزاً، أرحمني فضولي».

وبسكت توني:

«سأخبرك يا بام في الوقت المناسب».

«وهل أوليفيا طرف فيها»

«كلا، ظهرت في الصورة فيما بعد».

«إنك تشعرين بالغيرة منها يا توني. ولا بد أنك تشعرين بالقلق».

«كان داروس جالساً على الشاطئ يتطلع إليها عندما لاحظ بعض الغلق على وجه بام، وعندما اقتربت ابتسم لها قائلاً:

«هل هناك شيء يا بام؟ إنك تبدو قلقاً».

«كلا... ليس هناك شيء حقاً... إنني أفكر فقط في أن أستأنف مهامتي برعاية نفسي

وأطفالي كانت عطلة مدعشة... وأشعر بالامتنان فعلاً لك. ولا أعرف متى سأرد لك كل هذا الدين».

«وكان واضحاً أنها تحاول تغيير الموضوع».

«ورفع حاجبه متعجباً وقال:

«تدوين لي؟ إنك لا تدوين لي شيء يا بام. استمتعتنا بوجودك معنا، وبالنسبة إلى عودتك، ليست هناك حاجة لأن تظني أبداً. استقر الأطفال هنا، ولا أرى داعياً لتفهم مرة أخرى إذا لم تكن هناك ضرورة».

«إنه لأمر ضروري حقاً، لا أستطيع أن أعيش متطفلة على أحد يا داروس...»

«وطب جيبته عندما قال:

«هذه الكلفة لا أريد أن أسميها... نحن أسرة واحدة... وإذا أرادت شقيقتي الحضور إلى هنا، فافعلوا سهلاً، ولا بد أن تعترض هذا بيتك يا بام، وتبلي معنا حياً تلميذ».

«ظهرت إلى توني. لم يكن من الصعب قراءة أفكارها، لا يمكن أن يفعل داروس شيئاً في الحقة أو شيئاً معيلاً... لا يمكن».

وقالت توني لشقيقتها:

«إن ما يقوله داروس صحيح يا بام. لا تعومي الآن... ما الذي تفعلين العربة من أجله؟ إنك لا تفعلين الآن. ذكرت أن صاحب العمل أبلغك أنه لا يستطيع الانتظار على الرطبة، هل غير رأيك؟»

«كلا، لم يغير موقفه».

«ولم توني إلى زوجها، كانت تشعر أنه يريد فعلاً مساعدة بام ماليًا. ولكنه كان يعرف أن اعتزازها بنفسها يعني أن تأخذ شيئاً منه، وكلها كانت توني تفكر في عودة شقيقتها إلى بلدنا كما أعت استبدت لبدء الفكرة. وفي تلك الليلة قالت توني لزوجها بعد أن توجهت بام إلى فراشها:

«هل كانت بام تستطيع البقاء هنا معنا دوماً».

«وأمر ربه بعثتها حياً قال:

«كنت أفكر في ذلك. إنها لا تعمل في بلدنا، ولذلك فإنه ليس هناك ما يتطلب عودتها».

وكلا... إنها تتأخر بيئاً. لم يكن زوجها. فارتد. يتكسب كثيراً. كما أن
إنجابها السريع لم يساعد على دعم مركزها المالي.
«أستطيع أن أجد ما عملاً في رومس. من المؤسف ألا يكون لدي ليبيروس
شيء مناسب لها. خاصة أن والدتي لديها منزل جميل جداً هناك على العلة»
«والدتك؟ لم تذكر شيئاً عن هذا من قبل»
وقال وهو يتسهم:

«أذكرين للملاحظة التي أبدتها من قبل من أن كلاً منا لا يعرف الكثير عن
الأخر لا تحلين شيئاً عن أسرتي، وأنا لا أعرف شيئاً عن عائلتك سوى ما أعلمه
عن بام وأطفاله»

وصمت داروس فترة لتناول بعض الشراب ثم قال:
«بالنسبة إلى بيت والدتي، إنها تريد بيعه، وبإستطاعتنا أن نشتره بتمن
وخصيص»

«ولكن بام لا يستطيع الشراء يا داروس. ألا يمكن أن نوجه والدتك لها؟
ولكن ذلك لن يفلح. بام لا يعمل، وإذا وجدت وظيفة في رومس لا
تستطيع البقاء هنا. ستكون المسافة بعيدة جداً. ما الذي تستطيع أن تفعله»
وقال بهدوء:

«أحاول أن أجد حلاً. إذا أمسكت لسانك دقائق»

وقالت بركة:

«أسفة... هل لديك فكرة؟»

وبعدت لمجيئها الرقيقة وميضاً في عينيها وقال:

«قلت من قبل إنك تغيرين عيوني. لكنني وجدتك أكثر من ذلك... إنك مربةكة
تماماً. لست اللذات التي تزوجتها. لا أعرف إذا كان التغيير الذي حدث لك هو
نتيجة تروهي أو أنه لم يحدث أي تغيير على الإطلاق»

«وأمر وجه تروهي خجلاً وهي تقول:

«لم يحدث أي تغيير... إنني لا أهتم»

«هولا أنا... وأعتقد أنك ستفهمين في الوقت المناسب»

«وتقول داروس مرة أخرى إلى موبسوح بيت والدته»

«أنا مستعد لشرائه من والدتي وتلقيه هدية ليام، ولكن هذا غير ممكن مع
شقيقتك»

«لن تقبل ذلك»

«وكانت تروني تنظر إليه في ذهول وهي تفكر: «هل هذا هو الرجل الذي يحتقر
كل اللقيطات الانكليزيات. الرجل الذي يرفض أن يدفع مائة جنيه لثقات سفر
زوجته. صحيح أنه دفع المبلغ أخيراً لكن غضبه وتهديداته لا تتلأم مع عطفه
على بام ومساعدته لها»

وقالت تروني:

«إنه لعطف منك يا داروس... ولكن لماذا تلتق نفسك بكل مشكلات
شقيقتي»

«شيء واحد يا تروني. أصبحت مغرمًا بأطفالها الثلاثة... إنهم بحاجة إلى
الاستقرار وهم بحاجة أيضاً إلى رجل يراقب تصرفاتهم. إنهم يستمعون بروح
عالية. وهو شيء هام إذا توافر الانضباط وأنا أختي أن يرشوا إلى الوضع الذي
كانوا عليه ليل حضورهم»

وقال وهو يتسهم:

«لو كنت أباً روحياً لم لكان لزاماً عليّ طيفاً. للتقاليد هنا أن أرفعهم. هناك سبب
أخر يا تروني. إنني معجب بشقيقتك وأشعر أنه يجب التخفيف عن أعبائها التي
تتحملها بدون خطأ ارتكبه»

«كانت تروني تقدر مشاعره فالروابط الأسرية في اليونان قوية وكل فرد
يعتبر نفسه مسؤولاً عن رعاية أي فرد آخر عندما يواجه عجزاً أو يقع في ضائقة.
أما الأب الروحي فإنه يتحمل مسؤوليات أكثر من واجبه أن يكتفل أطفاله
الروحيين إذا لزم الأمر كما قال داروس. إن الشعور بالواجب أمر تلقائي بالنسبة
إلى الرجل اليوناني. صحيح أن داروس كان نصف انكليزي لكنه كان
يتبع تقاليد أسرة وشعب أمه ويتحدث عن اليونان باعتباره بلده. كانت
تروني واثقة أن داروس يريد مساعدة شقيقتها بام... ومآله:

«لكن أين الوظيفة التي تناسبها؟ قلت إنه ليس لديك هنا في ليبيروس عمل
لها»

«كلا ليس لدي، إنه لأمر مؤسف، ولكن انتظري، يام، كانت تعمل في مجال التصوير الفوتوغرافي، وهكذا فقد وجدت لها العمل المناسب...»
«لديك هنا عمل لماته»
«لدي صديق هنا يعمل مصوراً محترفاً، وسوف تتركه مساعدته خلال أسبوعين للزواج، إنه يسافر كثيراً، وهو الآن خارج البلد، ولكن الاستوديو الخاص به في حديقة منزله هنا في ليندروس، هو المكان الذي ستعمل فيه يام»
«أحسنت، توني، كأن عينا قليلاً أزيح عنها»، وقالت:
«لا أعرف كيف أشكرك، لم أتصور أبداً أنك عطوف هذه الدرجة».
ونظر إليها زوجها نظرة طويلة غنية وقال:
«وأنا أيضاً لم أكن أعرف أنك يمكن أن تكوني حانية إلى هذه الدرجة».
«أحسنت توني، أن هناك تغييراً طفيفاً في سلوك داروس تجاهها، ولكنه لم يبد منه لحظة حب أو حتى مجرد ميل إليها...»
«ولدت»
«أأمل أن توافقي يام، على خطفك، ويجب ألا يجيل إليها أن هناك شيئاً من الصديقة في هذا الموضوع».
«ليست هناك أية صديقة في هذه المسألة».
«لا بد أنك سوف تقدم لها كهدية جزءاً من الأموال اللازمة للبيت».
«هذا ليس بالكثير... كما أن يام لن تلاحظ ذلك لأنها لا تعرف كم تساوي المشكلات هنا، فهي أرخص كثيراً من انكسار»
«وهكذا لم يعد هناك داع لأن تلتقي توني، وبام، كانت متحمسة للاقامة في الجزيرة، كذلك شعر الأطفال بالبهجة بسبب المرح الذي يلا جوانب المكان الذي يعيشون فيه. أما نحولهم إلى أطفال طبيعيين فما زال مصتراًخيرة يام التي قالت لداروس:
«هناك الكثير يام داروس يجب أن أشكرك عليه...»
«فالكلمات لا تكفي».
«لا داعي لهذه الكلمات إذن يام، توني سعيدة لرجوعك بالقرب منا، وأنا كذلك، كما أن الأطفال يحبون العيش هنا وقد استقروا في منازلهم».
«حسنًا، إنني وإن كنت لن أشكرك بكلماتي، فأسهر دأباً بالامتنان لك في

أعماقي».
«ويجمل داروس هذا»
ثم نهض داروس واقفاً وهو يقول:
«دع فكرة يام توني، جوليا مستحضر في نهاية الأسبوع، وسوف تستخدم الفرقة التي كانت مخصصة لجني».
وعندما اقترب مساء الجمعة فكرت توني أن تسأل جوليا عن أوليفيا، قد تحاول التهرب من الإجابة على أسئلتها، وقد تشعر بالحرج، وقررت في النهاية ألا تحصل على معلوماتها عن أوليفيا بهذه الطريقة.
وبجرد أن وصلت جوليا، أحسنت توني أنها التقت وكوستاس، وقبلة وجدت نفسها على الفراد مع جوليا التي اعتبرت لها بكل شيء»
«وهكذا فأنا تترجمان الزواج».
«كلا... استجبت ذلك ونحن معاً لأنه ذكر أنه قرر الزواج مني، إلا أن العطلة التي أنصبتها معه انتهت بوقاع آخر لمقطع»
«أنت تقصدون أنه استمتع بك فقط... ما الذي حدث بالضبط هل قال كوستاس: فعلاً إنه يريد الزواج منك»
«كلا... اعتبرت هذا أمراً مسلماً به... اتصل بي وأبلغني أنه ذاهب إلى بوروس لقضاء عطلة، وطلب مني أن أقابله هناك، وأبلغت أمي بذلك، وتوجهت إلى بوروس للقابلة كوستاس، كان عطوفاً وصيماً، وعندما طلب مني أن أبقى معه، اشتعلت بطبيعة الحال أنه سيتزوجني في النهاية».
«وسلت فترة من الزمن، إن براعة هذه الفتاة أمر لا يصدق إنسان، إنها لا تتصور كيف تضع جوليا ثقلها في كوستاس للمرة الثانية، ومأنتها»
«ولكن ما الذي تترجمين فعله، ليس باستطاعتك أن تتزوجي ستيفانوس الآن»
«لم يحدث جديد في الأمر...»
«ولكنك لا تحبينه...»
«ولم أحبه من قبل عندما أشار علي داروس بالزواج منه»
«جوليا، أنا أعرف أن الأمر لا يعني، وأنا أعرف أن ترتيبات الزواج بهذه الصورة

مسألة عادية هنا، ولكنني أوصحك إذا كنت لا تحبين ستيفانوس ألا تتزوجيه لأنك لن تكوني سعيدة معه أبداً.

«لن أكون سعيدة أبداً إلا إذا تزوجت كوستاس».

«إنه يحتمل عليك يا جوليا... يجب أن تعرفي ذلك...»

«لست الفتاة الأولى التي تقع في حب محتمل. ليشك تقابليته يا توني، سوف تقولين إنه أكثر الرجال وسامة»

«ولكنه ليس وسياً في داخله، إن ما يجلبه هو الألم، للظهور يمكن أن يحدج كثيراً.

يجوز في الواقع».

«كانت هذه الكلمات صليخة عن داروس الذي دخل لتوه إلى الغرفة وجلس على الأريكة إلى جانب شقيقته، واستطرد قائلاً لزوجته:

«لم أستمع إلى الجانب الأول من حديثكيا، حول أي موضوع كننا نتناقش؟»

«إنه حديث للنساء فقط...»

«هل أخرج»

«وقاطعته جوليا:

«بالأكيد لا... لم أرك منذ أسابيع كثيرة، وسوف أبقى هنا لمدة أيام فقط تقابلت مع جيني في كريت وقال إنه استمتع بعطلته هناك...»

«وأعفى وقتاً طويلاً، لكنني لم أستطع قضية وقت طويل معه. كنت أعمل كثيراً، وأشغل عنه في الوقت الأخيرة.

«أنت مخطوطة يا داروس، لأنه بإمكانك أن تتسلى في الوقت الذي تشاء، أما أنا فيجب أن أعمل جيد ولا ألهو إلا عندما أخذ عطلة من دراستي».

«سوف تتسلى وتلهين كثيراً عندما تتزوجين، زوجك ثري بدرجة كافية ليوفر لك الكثير من الممتع».

«ولكنه ليس زوجي بعد...»

«لكنكيا مخطوبان يا جوليا».

«نعم يا داروس، إنا مخطوبان...»

«ستيفانوس رجل طيب يا جوليا، وسوف يكون عطوفاً معك، إنه غني ويحسد من أسرة عريقة».

وأعرف ذلك، ولا أفكر في تغيير رأيي».

«أرجو ذلك... ريتت زواجكيا في شهر حزيران (يونيو) المقبل عندما تفرغين من أدا امتحاناتك النهائية».

«كانت توني تتعاطف معها وتشرع بالقلق عليها فتيات كثيرات مثلها يتجهن إلى الكنائس ليجرد إقام مراسم الزواج مع شريك الحياة الذي اختاره الوالدان أو أشخاص آخرون يعتقدون أنهم يعرفون من هو الزوج الأصليح.

والأمر الغريب بالنسبة إلى توني أن أحداً لم يتعلم من التجربة أبداً. ولا شك أن جوليا وزوجها - عندما تكرر انتهائهما - سوف يتصرفان أيضاً حسب التقاليد ويزوجانها لشخص ربما لم تقابله. أما إذا كانا قد تعارفا من قبل فذلك التعارف يكون عادة البداية والنهاية».

«وفي اليوم التالي كانت توني تجلس وحدها مع زوجها حول مائدة القفا».

«واعتقد أنه من الجرم إرغام فتاة على الزواج من شخص لا تحبه...»

«هل تشيرين بذلك إلى جوليا»

«إنها لا تحب ستيفانوس هذا الذي اختاره لها»

«يعود أنها كانت تكتنمك بعض أسرارها، هل أشارت إلى أن خطوبتها قد فرغت عليها...»

«وأجابت توني بسرعة:

«كلا... قالت فقط إنك قد نصحتها بالزواج من ستيفانوس».

«وسادت فترة من الصمت ثم استطردت قائلة:

«وأنت لم تحدثني عنه».

«إنه شاب وسيم، يحب الحياة، ذكي وغني، ما الذي تريده الفتاة أكثر من ذلك»

«قد تريد الحب فقط، النساء هكذا، هل تعرف ذلك»

«ولم حاجبه دهشة وقال:

«يبدو أنك تحبين بالمزلف تماماً. أعتقد أنك كنت تعشرين المال هو كل شيء إذا لم تحبي الذاكرة»

«وعشت شغتها ورفعت عينيها وقالت تنافح عن نفسها:

«كان مولدي مخطوطة».

«نعم يجب أن أسلم بذلك».

وانتقل داروس وهو يتطلع بعيداً إلى موضوع جوليا وقال فجأة:
«ولكن ما الذي قالته جوليا؟ أتصور أنك تعرفين شيئاً عن كوستاس».

وقالت في حيرة:

«ذكرت لي اسمها».

«ذكرته لك... إنها تعتقد أنها جميلة».

«لأننا متأكدة من ذلك».

«ولكنه لا يجهل، وإذا كان جاداً في علاقته لكان لم يلمحني في ذلك أحياناً
واللهنا منذ فترة طويلة».

«ولم تستطع توني أن تسك نفسها عن توجيه سؤال له».

«هل أنت مطمئن تماماً لزواج جوليا من ستيفانوس»؟

«ولكن هل توجيهي لي اللوم على ذلك»؟

«هست توني في صوت خفيف وهي تقول»:

«ليس من حلي يا داروس أن ألقى اللوم على أحد ولكن جوليا ليست
سعيدة، وأشعر أنه يجب أن تكون حرة لتسبح المظربة إذا رغبت».

«لأن لوانا لم تؤكد نهائياً أنها تريد تسبح المظربة».

«هزت توني رأسها بالنفي، وأحست أنها تدخلت في شيء لا يعنيها».

«لقد قالت لي فقط إنها لا تحب خطيبها، وأعتقد أنني لا أهرج سراً بهذا الكلام،
أنت تعرف أنها لم تحب ستيفانوس».

«إن اليونانيات لا يتزوجن من أجل الحب».

«لعل هذا هو السبب في أن هناك زيجات كثيرة غير ناجحة».

«ظهر العيريس على وجهه، كان واضحاً أنه يواجه مشكلة، ثم قال»:

«لكنني لم أخطئ على جوليا».

«هل توافق بأن تقوم جوليا بتسبح خطيبها إذا رغبت»؟

«أرجو أن تبقى بعيدة عن هذا الموضوع يا توني، فهذا شيء لا تعرفينه».

«إنني أسلمة... إنه فعلاً أمر لا يخصني».

«ويل إنه أمر يخصك بشكل ما، أعتقد أنا نفسي بمشكلات شيفتشك ولي

الظروف العادية سيكون من واجبك أن تهتمي بمشكلات شيفتشك».

وتتهد وهو يقول:

«ولكنها ليست ظروفاً عادية يا توني، ومن الأفضل أن تتزوج جوليا من
ستيفانوس».

«شعرت توني أنه يعرف كل شيء... بل بدا عليه أنه لا يريد أن يبعد
زوجته عن هذه المشكلة العائلية».

«هل ستيفانوس يجب جوليا»؟

«وتدلت نفسها ترى هل أخطأت بتوجيه هذا السؤال؟ فقد رفضها داروس
بقوة وقال»:

«وما الذي يملكك تقولين هذا».

«ولا أعرف... إنها مجرد فكرة».

«دع أي أساس».

«هزت توني رأسها وتلفتت يمنة ويسرة لأنها تحاول التهرب من الرد
«بيدوان جوليا أهلك بك كل شيء»».

«ولم يسع توني إلا أن تومن برأسها، فالكذب في مثل هذه الظروف لا
يجوزي، وقال داروس»:

«لم تقل لي بطبيعة الحال، بل اكتشفت خطأها عن طريق صديق لي له ابن في
الجامعة في...»، وكنت أفضل أن تتزوج جوليا كوستاس. وقد أُلغيت ان
سعادتها أهم من كل شيء، ورغم أن كوستاس فقير وستيفانوس غني، لكنه
نظراً لأن كوستاس هذا لا يريد الزواج، ولأن أحداً لن يقبل الزواج منها، لم
يعد أمامها مجال كبير للاختيار».

«وكان عليك أن تقول لستيفانوس عن... لقد اعتقدت أنك فعلت ذلك، ولهذا
السبب عرفت أنه يجهل... لأنه لا بد أن يكون قد تجاوز هذا الأمر».

«وأمراً داروس بالانحياز».

«فلمحني ستيفانوس في الزواج من جوليا، وكان لا بد أن أصارحه بالحقيقة.
وقد أصيب بالصدمة بطبيعة الحال، لكنه ما زال راغباً في الزواج منها، إنها فتاة
مضطربة جداً، لأن ما فعلته يمكن أن يدمر فرص زواج أي فتاة هناك».

«هل هي محفوظة فعلاً يا داروس؟ هل ستجد السعادة مع إنسان لا يحبه؟»
«إما ستفانوس وإما أن تبقى عانساً»
«ربما تفضل أن تبقى عانساً»

«الحبيب الأسلمي لأبي فتاة يونانية هو أن تزوج وتتجب أطفالاً»
وبعد فترة من الصمت أعربت توني عن إعجابها به بسبب قوله الخلق للبوليفه وقالت له:

«إنك تبدو متفهماً جداً يا داروس، هل أنت متضيق من جوليا؟»
«كنت في باطن الأمر متضيقاً، لكنني بعد ذلك تصرفت بإحسان من ذلك الطابع الانكليزي الذي بداخلي، ولتعشيتي وجدت أنني مضامح، والقصي أيضاً»
الحياة بالنسبة إلى الفتيات اللواتي تخرجن إلى الحياة العامة تختلف كثيراً عن حياة اليونانيات اللواتي يعشن في بيئة سليمة. إنهن يجهن أنفسهن فجأة يستعفن بالحرية الكاملة، حرية التفرغ في الحب، والفتيات اللواتي يهين جانباً كبيراً من حياتهن في حاية الوالد أو الشقيق لا يستعفن بأية حصة، إنهن يرشطن وبلا جهاز»

«كأنت توني تستمع إلى داروس صامتة. ألا داروس وتصرفاته الأخيرة معها ومع شقيقتها وأولادها تكشف كلها عن شخصية متوازنة تماماً لم تكن تعرفها من قبل، ليسها عرفت داروس الحقيقي قبل ذلك»
وسألت توني:

«قلت الآن إن أحداً لن يتزوج من جوليا، ولكن تفرض أن شخصاً آخر أحبها، وبالفاته هي الحب»

«لن يتزوجها إذا عرف الحقيقة، ويجب أن يعرفها، لأنها ستكون كاذبة لأبي فتاة في موقف جوليا أن تزوج بدون اعتراف كامل، إن باستطاعة زوجها أن يظلمها فمراً»

«أعتقد أن ذلك لا يحدث إذا كان يحبها فعلاً»

«الاصرار على عفة الفتاة ضروري جداً، ولذلك فإن جوليا تعتبر سعيدة الخط فعلاً عندما وجدت رجلاً متفهماً مثل ستيفانوس يحبها، لا أعتقد بإخلاص أن هذه الحالة يمكن أن تتكرر مرة أخرى، ولذلك من الحكمة أن نليل ما يعرض

عليها»

«وكان هناك سؤال يلح على توني وترغب في الحصول على رد له»

«هل يتوقع ستيفانوس اعترافاً من جوليا نفسها؟»

«لقد قلت لك إنه رجل طيب، وأعتقد أنك توافقيني عندما أقول إنه إذا اعترفت جوليا له فسوف يصفح عنها، ولكنها لو التزمت الصمت قلن يلومها، كما أنها لن تعرف أبداً أنني أفضيت سرها عنده»

«نعم يبدو أنه رجل طيب، ولكن لماذا لا نتحدث إلى جوليا في هذا الأمر؟»
«لا أرى أي فائدة من ذلك؛ لن تشعر بالراحة بعد ذلك في وجودي، وأنا أحبها جداً يا توني، ولذلك فإن أي توتر في علاقتي معها لن يكون في مصلحتنا»
«كان إعجاب توني بزوجها يتزايد يوماً بعد يوم، لقد بدأت تشعر أنه يختلف تماماً عن داروس القديم الذي تزوجته بالقدر نفسه الذي لا حظ به أنها ليست الفتاة التي تزوجها»

«والجيت توني بأفكارها مرة أخرى إلى مشكلة جوليا، ماذا لو قابلتها وواجهتها في موضوع اعترافها لستيفانوس بكل شيء، وجأت الفرصة وسألتها، وأكدت توني أنها لو كانت مكانها لأبلفتها بالتأكيد وبدون تردد»
«إنني متأكدة أنه سيصفح عنك...»

«ولكن ما الذي يجعلك تقولين ذلك، هل قابلته من قبل؟»

«إنه يريد الزواج منك يا جوليا، وربما كان ذلك لأنه يحبك»

«لم يقل لي أبداً إنه يحبني»

«هل أتيت له الفرصة لذلك؟»

«كلا... لم تلق وحدنا أبداً»

«حسناً... فلماذا لا تتظاهرين حتى تكونوا وحدكما... وربما نكتشفين أنه يريد أن يتزوجك لأنه يحبك»

«فجأة لاحظ ابتسامة على الوجه الجميل للفتاة اليونانية وقالت بتهرات الأمل»

«لم أفكر في ذلك أبداً... وهل تعتدين حقاً يا توني أنه إذا كان يحبني سوف يتجاوز عن فعلتي؟»

«متأكد من ذلك، ولكن عليك يا جوليا أن تعصي على الامتناع عن رؤية كوستاس مرة أخرى».

«أبداً لن يحدث... ولكنني لست متأكد أنك على صواب حقاً... إنه لأمر يدعو إلى الارتياح أن يكون ستيفانوس لا يزال يربط في الزواج مني بعد أن يعرف، هل تعلمين أنني لا أريد أن يعرف داروس شيئاً عن فعلتي... إنه عطفك كما قلت لك، ولكنه لن يفر لي ذلك».

«ولكن هل لديك استعداد لأن لمحى ستيفانوس».

«ورأت فترة من الصمت قبل أن تجيب جوليا:

«ربما... بعد أن أكون قد نسيت كوستاس... نعم أعتقد أنني سأحب ستيفانوس... سوف أحاول لأنه رجل طيب كما يقول شقيقى».

وهكذا... لاحت النهاية السعيدة لهذه المشكلة، ولكن ماذا عنها هي نفسها؟ إن تحقيق الانسجام الكامل لعلاقتها مع داروس لن يحدث إلا بالحب، وتسلت توني: هل سيحبها داروس فعلاً؟ إنها لا تتصور ذلك. حياتها كما تراها كشيء كطريق موحش في الجهد، ولعبة لم تتحقق.

٩ - حديث الفراشات

واستطاع داروس بكلماته المعتادة أن يتخذ الترتيبات اللازمة لنقل ملكية بيت أمه إلى يام. وأخذت يام المقتاح وبدأت مع توني في التردد على البيت لبحث كيفية طلائه، وتجهيزه بالتأثيث، واعتزمت يام بعد أن تم شغلها قائماً أن تسافر إلى انكلترا لحزم وشحن أثاثها. وأصبح الأطفال نموذجاً للأدب والطاعة وحسن السلوك. ولم يد أن ذلك أثر على حيويتهم كما كانت توني تعتقد. أما جورج تاربولي المصور الرسيم صديق داروس فقد عاد هو أيضاً إلى لينكوس وطمان يام على وظيفتها لديه واعتاد إليها برتيب مفر جداً جعلها تحصل دفعة. واعتزفت يام عندما كانت تصطحب توني وداروس إلى منزلها الجديد لرؤيته وتحديد احتياجاته قبل إقامتها:

«لقد تغيرت حظي في النهاية، إني لا أصدق ما يحدث حولي».

وشعرت يام بالأمل يتجدد في نفسها وهي تحس أن جميع من حولها يتعاطفون معها، ويقدمون لها هدايا قيمة لمساعدتها على التجهيز بيثها. فقد كانت العادة كما قال زوج شقيقها أن يقدم كل أفراد الأسرة هدايا لمن ينتقل إلى منزل جديد.

وكانت توني أيضاً تشعر بالسعادة من أجل شقيقها. لقد انتهت متاعبها بفضل سخاء داروس وكرمه، وطريقته الحكيم في معالجة الأمور، إنه شخص ممتاز حقاً، هكذا فكرت توني وهي تزهر وتظهر بزوجها.

ولكن برغم أنه كان عطوفاً مع كل شخص آخر - إلا أن سلوكه نحوها ظل غائراً على حاله. ورغم أنه لم يعد يحدث شجار بينهما، إلا أن مظاهر العطف لا تبدو من تلقائيه. وفي جلسة واحدة في بيت بام قال داروس:
«لنأمل جميعاً أن يكون الدافع بائعاً على السرور كأنهم قداماً. إنك يا به
سوف تشعرين بالراحة أكثر عندما يتم تجهيز كل حاجياتك. وبعد أن يصبح
البيت كما تحبين أن يكون».

وقالت نوني وهي تقدم له فنجاناً من القهوة:

«وعندما يتم تنظيم الحديقة أيضاً».

وهبت ببجولة في أصابعها... وأعتقد أنك لن تستطيعي إتمام هذه المهمة بمفرده.
سوف أبعث اليك يستائياً يعمل لدي مرة أو مرتين كل أسبوع».
«لا يا داروس، يكفي ما فعلته، لا أريد أن تدفع لي أيضاً أجرة الاستئجار. وفي
أي حال فسوف أستمع بتنظيم الحديقة بنفسي، لأنني لم أملك حديقة من قبل».
«والاستئجار الذي لدينا لا يجيد عملاً كافياً يشغل به وقتك»
«ولعله لاحظ أنه من كبريائها فاستطرد قائلاً:

«وفي أي حال يتعين أولاً أن يتم تنظيم الحديقة على الوجه السليم، وسيكون من
السهل بعد ذلك أن تتولبها بنفسك».

وسادت فترة صمت وهم يحسون القهوة في قفاز البيت الخالي تماماً. كذلك هدأ
الهواء حولهم ولم يعد يسمع من حين إلى آخر سوى صوت أوراق شجر الزيتون
يداعبها نسيم خفيف، أو مصلصلة الأجراس المعلقة حول اعتناق الأختام التي
ترعى على سطح التل. وغدت ضوء الشمس بالتدريج وحل الظلام على المنطقة.

وتنهض داروس واقفاً وهو يقول:

«وحان الوقت لتفكي الأرباب ونعود إلى بيتنا. وخرج الجميع إلى الشارع تصافح
وجوههم تسهات رفيقة من أطواء الرطب المغطى بروائح الزهور. وكان ضوء القمر
يضفي على المكان كله غموض الشرق.

«والنظمت بام أنفاسها وهي تقول:

«أعشق الأمسيات والليالي هواء

«وتنمت نوني قائلة:

«وإننا أيضاً، إنها عاقبة وخيالها» والنظمت إلى زوجها الذي كان يتطلع إليها بنظرة
كلها عطف وخشوع. ولجأة وضع يده على كتفها، وأجست برخسة يده. ومضى
الجميع تحت أوراق الأشجار الكثيفة التي حجب ضوء القمر. وفي تلك اللحظة
انحنى زوجها في مرة بالغة وطبع قبلة على وجهها.

وهلت نوني ليضمة أيام تتذكر هذه القبلة. كانت في لحظة ما تتعلق عليها
أصبة كبيرة. وفي لحظة أخرى تلوم نفسها لسخافتها. وكانت تحس أن هذه القبلة
مختلفة. لم تكن كقبلة الأخرى التي تجعلها تحس أنها ليست أكثر من شيء
هناك.

ولكن ما لبث أن حدث ما يؤكد قلقها... فقد رأت بنفسها داروس مع
أوليفيا في مكان عام، كانت مع شقيقها بام في رودوس لشراء بعض
الهدايا الصغيرة التي ستأخذها معها إلى والدتها وشقيقها. وكانت نوني قد
اشترت هداياها وتم تغليفها للسفر. قالت بام:
«أعتقد أن هذا كل ما تريده»

قالت بام وهي ترى الهدايا التي اشترتها بغير تربطها بالبحر يوناني.
وأضافت:

«والذي ستسعد به هذه الملابس».

وردت نوني:

«ستطيع أن نتناول غداءنا هنا، ما رأيك في مقهى الميناء».

وعندما كانتا يجلسان معا في المقهى ترقبان المارة ويتنظران تقديم الطعام لها.
هبت بام في أذن نوني بكلمات جعلتها ترتجع رأسها فجأة وهي تقطب
جبينها. وانجهت نوني بنظرها إلى الناحية التي أشارت إليها بام. وفوجئت
بزوجها وأوليفيا يدخلان المطعم الجديد الفاخر الذي كان يطل على أجمل منظر في
الميناء.

والنظمت بام إلى شقيقها التي كان وجهها يتفجر غضبا. وقالت:

«هل هذه أوليفيا؟ إنني لا أكاد أصدق، لا يمكن أن أصدق ذلك من زوجك».

وتطلعت إلى داخل المطعم مرة أخرى وهي تقول:

«مخرجها معا لا يعني شيئا يا نوني».

وأترقب أن تكون هذه أوليغيا، فانا لم أقبلها أبداً

وقالت بام بي تردد

هاكرت من قبل أنه كان مفتوناً بها، وألححت لي مرة أن هناك شيئاً يحبطه القسوس

يحصل بلفظك مع داروس، وقلت إنك ستكتفين عنه لي في يوم مده

وترددت توني فترة قبل أن تقول:

أأقتني من الموت

أقتربت بام بملامحتها من توني

«ماذا لك؟»

«إنها الخيفة، ولكن يجب ألا تذكرني ذلك أبداً لوالدي ووالدي.. وبالأأكيد

لشقيقي هيو، أرجو أن تعديني بذلك»

«هل أنت جادة فيما تقولين؟»

«إنني جادة فعلاً»

كانت توني محبوم بنظرها داخل المطعم. هل يجلسان الآن في مكان متزل.

سعيدين بلفظها، بعدما نسيا كل خلافاتهما؟ وحولت توني نظرها إلى بام.

متصورة أنها لو لمثلت ذلك تستطيع أن تسي أن زوجها قريب جداً منها مفضلاً

صحة امرأة أخرى عليها.

«سأقول لك كل شيء عما حدث... ولكن عندما تعديني بالأنا تذكرني شيئاً لأبي

فريد في العائلة»

«إنني أعذك»

«لقد كان الأخذ بالثأر»

وبدأت توني تروي القصة الكاملة لشيفيتها، وكانت تشعر بالارتياح وهي

تقضي في روايتها.

وعندما فرغت توني من قصتها قالت بام:

«إنها تبدو كأفلام القتل الخيالية. بامه من شيء مرعب بالنسبة إليك. في الوقت

الذي نغفل فيه جيباً عن الخطر المحدث بك، لا بد أنهم وحوش هنا في الجزيرة»

وقلت توني بسرعة:

«كلا، إنهم ليسوا كذلك، جادة الأخذ بالثأر قوية في بعض القرى النائية فقط.

ويشعر الناس هناك أنهم يفرمون بواجبهم. إنهم لا يحتثون عمليات القتل

الاحتفالية... إنه شيء غريب جداً.

«إنه غريب فعلاً...»

وقصت بام عندما اقترت الخادم بطعامها:

«وهكذا فإن ما حدث هو نوع من هذه التجمعات»

«كان الأمر كذلك بالفعل في بعض الأمر... أما الآن فالوضع يختلف»

وناطقتها بام وهي حائرة:

«وقع كل مشكيا في غرام الآخر»

«لست هناك مشاعر عاطفية قوية... داروس لا يعني إطلاقاً»

«ولكنه يا توني إن يستطيع التخلي عنك»

«أعتقد أنه يقدر على ذلك يا بام. إنك لا تعرفين هذا الجانب منه»

«وسكنت توني وهي تشعر بالجليل والندم، الفيرة العيبة تنبعها إلى التطق

بعبارة مضللة، وبعد تردد بسيط مضت تقول:

«أعتقد أنه لا بد لي أن أصارحك بكل شيء...»

«هل تفصدين أن هناك أشياء أخرى؟»

«هناك الكثير»

وعندما أكلت توني الجوانب المختلفة لقصتها مع داروس قالت بام

وهي تحقق فيها:

«يا توني... لا بد أنك جنتت حتى تنصوري أن داروس سيكون سهلاً بهذه

الدرجة»

«وللأمانة»

«انظري إلى وجهه، إن رجلاً له مثل هذه الذقن وهذا الفك، لا يمكن أن يفرس

عليه شيء»

«لقد ثارت مشاعري عندما سمعت ما قيل عني لدرجة أنني لم أفكر في احتمال

مقاومة داروس لي»

«لا بد أنك جنتت أو أصبت بالعمى... ولو كنت مكانك لما فقدت عقل»

وبصبري... ولا كنت حاولت اختيار ليرة رجل مثل داروس... ولا بد أنني كنت سأعرف على الفور أن بإمكانه التصبر لي.

وصمتت توني، وراحت تفكر في أخطائها العديدة. وتسلات بهم في شك إذا كان داروس تحدث حقاً بسوء عن الفتيات الانكليزيات. وردت توني في استنكار:

«لقد تحدث بالفعل»

«لا يمكن أن يكون قد قصد الانكليزيات بالذات... وإلا لما كنت هنا بينكما أليس كذلك؟ تذكرني فقط ما فعلته من أجلي. بالتاكيد إنه لم يقصد الانكليزيات، ربما خذله فتاة انكليزية في يوم ما»

وألقت نظرة عابرة إلى توني،

«ربما تكون أوليفيا»

وأومأت توني برأسها، وأعادت عليها ما كانت سمعته من حديث بين ايليانا وداروس في حفل العشاء. وأضافت إنها لم تعرف بالضبط سبب الخلاف، ثم أضافت:

«أعتقد أن أوليفيا حاولت بطريقة ما أن تسوئ علي أمواله، ولا شك أنه غضب عندما أحس أنه مهدد، وفي أي حال يبدو أنه صفيح عنها الآن، وهو شيء لم يفعله بالنسبة إلي»

وشعرت توني بغصة ثقيل في حلقها. وأنتصت توني كلامها في رأس وولس وهي تقول:

«لقد أحب أوليفيا الآن»

«هل أنت أسفة على كل ما فعلته»

«طبعاً إنني أسفة...»

«إنني تستطيعين أن تقولي له ذلك»

«ليس الآن. فأت الوقت، ألا تترقبين ذلك»

«ألم تفكري في هذا من قبل»

«نعم، والتفتت بفكرة لإلاعه كل شيء غير أن أوليفيا كانت تتصل به دائماً

وأعتقدت أنه لن يشم بعد شيء»

«أصبحت توني بالسكين والشوكة»

«وعينا تأكل، ولتس للرضوع»

كانت أصوات موسيقى الوردوكي تبعث من المظلم. وكان السواح يتجولون بالقرب من الميناء ينظرون إلى السفن التي ترسو هناك بعدما جلبتهم إلى مدينة وودوس للقاء فيها بضع ساعات يمضونها في جولة سياحية قبل أن تغلهم إلى جزر أخرى

وتحدثت بام بعد فترة:

«إنني لا أصدق أن داروس يمكن أن يفعل شيئاً مخلاً بالشرف. أما أنت فقد بدأت بداية سيئة جداً. إن مطالبتك له بالمال جعلته ينظر إليك على أنه أكبر جشعة صادفها في حياته، لماذا لا تقولين له لماذا فعلت بالأموال»

«فكرت في ذلك أيضاً. رأيته في لم يكن سيجعله يصدق أنني متعت هذه الأموال لأحد. والآن فات الأوان، حتى لو صدقتني لن يغير ذلك شيئاً في علاقتنا، وكيف يحدث ذلك في الوقت الذي عاد فيه إلي أوليفيا»

«عدك إلى أوليفيا»

«أنت تعرفين ما أقصده»

وأدركت توني أن بام بدأت تشعر بالنعاسة بسببها، فحاولت أن تسج جراً من الهجة والتغلول بلوطاً إن داروس قد يغير رأيه يوماً ما في أوليفيا وينساها نهائياً، وهكذا تعيش معاً سعيدين.

ونعم... إنني أعتقد أنه قد ينساها في يوم ما. وأمل في ذلك»

وبعد مضي يومين سالت بام إلى انكلترا، وانتقلت توني تماماً في الإشراف على البيت حتى تستطيع التغلب على حالتها التي تنسم بالنعاسة. كان يتعين إجراء بعض الإصلاحات الطفيفة في جدران البيت. ثم بدأ مهنتسو التصحيحات عليهم. ومع عودة بام كانت السجاجة غرشت، والستائر علفت على التواخل.

وانتهجت بام بالتغييرات التي حدثت في البيت، وقالت:

إن الأثاث سيصل خلال أسبوعين وسأبقي معك لفترة أخرى هنا في منزلك.
«لا مانع لدينا أيضاً يا يام، أنت تعرفين ذلك، ولكن يبدو أنك قلقة ولديكِ
الاستعداد إلى بيتك في أقرب فرصة».

وابتسم داروس لها، وتغيرت تعبيرات وجهه كما يحدث دائماً عندما يشعر
بالسعادة.

واستغرقت توني في أذكاريها: «داروس وسيم دائماً، حتى عندما يبدو على
وجهه الملامح الجادة، لكنه عندما يتسمم يبدو جذاباً بفرجة مدمقة يا ترى ما هو
شكل أوليفيا؟ لم تكن قريبة من توني بالدرجة التي تسمح لها بالتحكم على
جمالها الذي تحدث عنه أبقهايتها... إلا أن الفتاة طويلة القامة وهي تشبه واثلة من
نفسها وكانت عارضة أزياء».

وقالت يام:

«نعم... إنني أتوق بشدة للأقامة في البيت. يبدو جذاباً جداً بعد أن تم طلاقه.
وأصبحت حديثته منظمة وجيدة، هل لاحظت يا توني أن لدي شجرة برقوق
وشجرة تين».

وأفادت توني من أعلامها وابتسمت وهي تقول:

«نعم، لاحظت ذلك، ولديكِ اثنين من الشجار الدخلي العطرة إحداهما فرنغليشة
والأخرى بيضاء، وهناك بوغفيليه تسكن الجدران في الشرفة الخلفية.
ولفت عينا يام وهي تقول:

«إنكما عظيمتان جداً معي. إنها المرة الأولى التي أشعر فيها بالسعادة بعد وفاة
لورانك زوجي».

وقال داروس:

«من الآن فصاعداً سوف تشعرين بالسعادة دائماً».

وبرغم أن نبرات صوت داروس كانت رقيقة وهو يريد هذه التكاليف لكنها
انسمت في الوقت نفسه بالصراية، ومضى قائلاً:

«ومن الآن أيضاً لن تكون هناك أي مظاهر للامتنان، اشتريت البيت، وسنددين
تنته بنفسك، ولصغيرين أثاث منزلك، ولم نفلح أكثر مما كان أي شخص آخر

سيحصله».

وعندما انتهى من كلياته التفت عينا، يعني توني، وبدأ متلهثاً لما رآه في
نظراتها التي عبرت عن كل ما تشعر به من الامتنان تحو... والعريان بالجميل لما
قدمه لشيقتها يام، وكانت توني تشعر أنه يستحق كل تقدير منها، لكن ما
كان يقلقها هو أن يجد زوجها في نظرتها أكثر من مجرد الشعور بالامتنان، وحولت
توني عينيها عنه إلى أن سمعت لشيقتها تقول:

«هذا هو ابني الصغير قادم من المدرسة، هل يمكن أن يتصور أي شخص درجة
الشفارة التي يتميز بها».

كان ديفيد هو أول من وصل إلى الشرفة حيث كان الثلاثة اليكسار
يجلسون يستمعون بالشمس... بدأ الجو بارداً بعض الشيء مع قرب حلول شهر
نوفمبر، وقال ديفيد:

«عندنا عطلة غداً، إنه يوم عيد».

وتنظر روبي إلى والدته نظرة تتم عن الرغبة في الشفارة.

«هل معنى ذلك أن نحفل بالعيد طوال اليوم».

ولما طعته لوبيس فائقة.

«إنني أشعر بالجوهر الآن، معني خالية تماماً».

وردت الأم:

«إنه لأمر سيء جداً... ولكن يتعين على معنك أن تبقي خالية حتى موعد
العشاء».

وقالت توني وهي تضحك:

«إن راحة المعدة تنفعها...».

وقال ديفيد:

«لا نظلي شيئاً الآن، أنت تعرفين مالياً، لن تعطيك شيئاً بين الوجبات».

«إنها فترة طويلة من موعد الغدا حتى الساعة الخامسة».

وقالت الأم:

«أخذت معك بعض البسكويت إلى المدرسة».

«صاحبت مني، أو ربما خطفها ميشيل فانيوكوتيس».

«غير معقول... ميتشيل لا يمكن أن يسرق البسكويت الخاص بك».

«كان يجري ورائي... وأعتقد أنها وقعت من جيبي، ثم توقف عن مطاردتي. وأعتقد أنه راعا تسقط والتقطها لنفسه.»

وقال زوي: «حولاً الحديث، وموجهاً كلامه إلى داروس:

«أين نذهب غداً؟ هل من الممكن أن نقوم بزيارة»

«ريما»

وسألت لويس: «بعد أن نسيت معدتها»

«إلى أين؟»

ورد زوي:

«أفضل الذهاب إلى روديني. أخذنا مرة إلى هناك أنها متعة»

«أريد الذهاب إلى وادي القراش، وما دمت أنا الأكبر سناً، فيجب أن يكون لي الخيار».

وأجابت لويس إلى والدتها وهي تقول:

«ولكنني لم أختَر أبداً. إنهم لا يعطوني الخيار مرة واحدة لأنني الأصغر سناً. كما أنني فتاة».

ورد ديفيد وهو يرفض طلب لويس:

«الفتيات لا يستعن بحق الاختيار في اليونان، يفعلن ما يريدن الصبيان».

ونظر إلى داروس:

«وهكذا سذهب إلى روديني»

«ولكننا لم نذهب أبداً إلى وادي القراش».

وأبلغهم داروس في هدوء:

«أليس هناك فرائشات في هذا الوقت من السنة. إنها تموت في نهاية الصيف».

«كلها تموت».

«نعم كلها».

وسأل زوي:

«وفي العام التالي ماذا يحدث، لا بد أنها تمام فقط».

وفي العام التالي تنفس البيوس التي تركتها الفرائشات، وتخرج الملايين من

الفرائشات الجديدة إلى الوادي مرة أخرى. إن ذلك يحدث دائماً.

«لكن أن الفرائشات تضع يرقات»

«نعم» بطريقة مازالت اليرقة تخرج من الفرائشة»

والخجريت بام ضاحكة وهي تقول:

«هذا غير صحيح».

ورد داروس:

«إنه ليس صحيحاً تماماً. ولكن من منا يريد درساً في العلوم الطبيعية، المهم أن

الفرائشات الجديدة تخرج كل عام. وبعد شهرين ثلاثة تموت».

وقال زوي وهو يصر:

«ولكنني أريد أن أعرف الفرائشات لا تضع يرقات... إنها تضع بيوضات»

وقالت نوني:

«ثم تتحول البيوضات يرقات. وتكبر شيئاً فشيئاً حتى تنفث. ثم ترقد ثم ترقع

حريرية تتسبجها بنفسها. ويطلق عليها اسم الخادرة. وهي عشرة في طور يعقب

اليرقة. ثم تتخذ طاً ملجأ على جذع شجرة إلى أن تنسج وتصبح فراشة في الربيع

عندما يصبح الطقس دافئاً شيئاً فشيئاً وجميلاً».

وعندما فرغت نوني من وصفها نظرت إلى زوجها فوجدته ينطلق إليها.

فأبست له. وسارعت ضربات قلبها، وحولت نظرها بعيداً.

وقال زوي بعدما أخس بالانصرار:

«وهكذا يا لويس أنت لا تستطعين الخيار الآن. لأن الفرائشات لم تخرج بعد»

من شرفتها. ولذلك فسوف نذهب إلى روديني».

«ليس من العدل ألا يكون للفتيات رأي...»

وتدخل داروس قائلاً برفقة:

«من الأفضل أن نترك للخالة نوني الاختيار...»

«أنا...»

لم يكن ما قاله داروس هو الذي أشاع الاضطراب في نوني. بل كانت

الطريقة التي ينظر بها إليها. كانت تحمل تعبيراً خاصاً. إنه تعبير لم تلحظه من

قبل. كانت بام ترتقبها. ثم تطلعت إلى داروس وهي تقول:

«إنها فكرة رائعة... وسوف ينتهي ذلك المناقشة تماماً.
«أفضل الذهاب إلى الجبال، وإذا كنت توافق يا داروس فعليك أن تصطحبنا
في سيارتك».
«قيادة السيارة لا تتعيني، حسناً جيداً، سوف نذهب إلى الجبال».

١٠ - العشاء الأخير

وانطلقت السيارة بهم بعد الإفطار مباشرة في طريقهم إلى غرب الجزيرة، وعند
منطقة اجيوس اسيدوراس توقفوا لتناول المربطات، وجة الغرويون بعد أن
أهتوا مقلع الترجيب بزوارهم - بالفراكة للأطفال، والزهور لتوني و يام،
وانطلقت السيارة مرة أخرى والابتسامة على وجوههم، وأخذت الأيدي تلوح لهم
وتودعهم.

وبعد فترة أخرى كانوا يقفون على قمة أعلى جبل في الجزيرة، لم تكن هذه
القمة عالية جداً - إلا أن من فوقها يمكن تمييز شواطئ أسيا العفري
بوضوح.

وتسأل روبي:

«وما كل هذه الجزر التي نراها يا عم داروس، لا بد أن هناك العشرات من الجزر
اليونانية».

«هناك مئات يا روبي، لكن بعضها مجرد قطعة ضخمة من الصخور العارية،
وهناك جزر أخرى تنمو عليها الأشجار والنباتات ولا يسكنها الناس».

وسألت لوس وهي تخرج من جيبتها قطعة من الشوكولاتة وتلفس غلافها:
«ولماذا».

وقالت توني مضرة:

«هناك أسباب كثيرة... ربما لعدم توافر المياه الكافية... وربما لعدم وجود مساحات
مناسبة للزراعة».

وقال ديليد:

«بالتينا نستطلع جزيرة غير مسكونة. هل تأخذنا معك في زورقك يا عم داروس».

«لا قيسة لذلك».

ونظر داروس إلى بعيد ناحية الغرب، وسأل توني:

«هل تعرفين أي جزيرة تلك يا توني»؟

«إنها جزيرة كريت، حيث تقابلنا. ولكن ما السبب في أنه أراد لفت انتباهنا إلى هذه الجزيرة، ورددت توني».

«بالطبع أعرفها».

وابتسم داروس، لأنه أمس أنها شعرت بالاضطراب، لكنه لم يزد على ذلك، وتحول بنظره إلى الشواطئ، وفلال تركيا. وبعد دقائق كان الجميع يشاهدون ما تبش من معبد زيوس القديم المقام على قمة الجبل وإلى جانبه قصر التامينيز وعليت توني قائلة:

«هناك قصة تروى عن ذلك... لكنني لا أذكرها».

وقال داروس وهو يبتسم ويرى الأطفال الضوا حوله:

«هناك أسطورة قديمة تقول إن كاهناً إلهياً تباراً بأن التامينيز سوف يقتل والده، وحتى لا تتحقق هذه النبوة ترك التامينيز جزيرة كريت وبش قصراً على أعلى جبل رودوس، وهو جبل أثابوروس الذي نراه الآن. وقد بناه هنا حتى يتمكن من رؤية الجزيرة التي أحبها، وهي جزيرة كريت، إلا أن والده ملك جزيرة كريت كان يثوق إلى رؤية ابنه ساجداً إلى هنا متخفياً مع بعض رفاقه الذين كانوا أيضاً يتخفون مثله، ولكن التامينيز ظن خطأ أنهم من القراصنة. ولتلب من جنوده أن يقتلوا الجميع، أما هو نفسه فقد قتل الملك. وهكذا تحلقت النبوءة».

وسألت لويس:

«هل هذه القصة حقيقية»؟

«كلا، إنها خيالية».

واقترح داروس بعد مضي دقائق أن ينتقلوا إلى مكان آخر.

«من الممكن أن نبقى هنا على الجبال، أو أن نذهب إلى البحر، أيها ترغيبون»؟

ونظرت توني إلى ساعتها وقالت:

«لدينا وقت لاثنين معاً».

وهكذا استمر تجوالهم بين الجبال، وكان آخر محطة لهم في المنطقة الجبلية عند جبل سيث، الذي لا يبعد كثيراً عن مدينة روفوس، وقد أبدى الأطفال اهتماماً كبيراً بالكهف أكثر من عظام معابد أبولو وزيوس. وظل الأطفال هناك يمارسون ألعابهم المفضلة إلى أن نادتهم توني وبام لتناول الغداء في بقعة خضراء مكسوة بالمرج تحت ظلال الأشجار.

وبعدما انتهت وجبتهم اصطحبهم داروس في سيارته إلى الشاطئ، الجعل إلى اليمين من الطرف الشمالي للجزيرة، وهناك قاموا بجولة حول المدينة القديمة وتناولوا المربطات عند ميناء مندراكس. وعندمما شعر الجميع بالتعب والاستعداد للعودة إلى البيت، استقلوا السيارة مع حلول الغسق إلى ليندروس. كان لمر كبير معقلاً فوق البحر وهم في الطريق السلي يؤدي إلى الشاطئ، وبدأ منزل داروس يتبع في مكانه الصخري الطبيعي وظهرت فيللا بام الصغيرة على سفح التل.

وعندما خلعت توني إلى نفسها وهي ترقد في سريرها، فتمت قائلة: «ألسنا سعداء هنا؟ كانت توني لا تزال تعيش هذه اللحظات السعيدة من حياتها عندما جلست على سريرها فتمت إلى كل حركة في الغرفة المجاورة لها، كان اليوم ممثلاً لعملاً، هل تغير داروس بالقصة كلها؟ إن ذلك لم يحدث معجزة بطبيعة الحال ويجعله يحبها فعلاً، لكنه قد يجعله يفهم، ويجد مبررات لسلوكها، وظلت جالسة في سريرها، تشعر بشيء من التردد، عندما سمعت صوت ماريا تستأذن زوجها في الدخول. كانت تتحدث باليونانية إليه «إن الآسمة أوليتها اتصلت هاتفياً وتركت له رسالة تطلب أن يتصل بها عند عودته».

وأعربت ماريا عن أسفها لأنها نسيت أن تلبف الرسالة في وقت مبكر، ونظرت توني إلى ساعتها، إنها العاشرة والنصف لقط، والجميع متعبون، وسمعت داروس يهبط درجات السلم، ومضى وقت طويل قبل أن يعود، وقجاة أعتت بمشاعر الغضب تنفجر داخلها، أجبرها على هذا الزواج، ثم فرض مشاعره عليها. والآن يبدأ علاقة مع خطيبته السابقة: «من الأفضل أن أسمع له بدخول

الفرقة الآن». ولكنها لا بد أن تأخذ حذرهما حتى لا تجعله يشعر أنها فهمت كلمات ماريا

وعندما لطم خطرتين داخل غرفتها قالت: «توني»

«إني متعبة، وأعتقد أنك متعب كذلك، طبت مساءً، وأشكرك على هذا اليوم الممتع».

ولما داروس مستغرباً:

«فاجأتني بهذه الكلمات».

«إني متعبة يا داروس».

«هل ترفضيني مرة أخرى».

وبدا صوته ناعماً ولكن نبرته دلت على صرامة.

«هذا ليس تعبيراً رقيقاً».

«ولكن هذا أبشأ ليس موقفاً رقيقاً».

وتقدم داروس خطوات أخرى داخل الغرفة، ونظر إليها. كان هناك بريق في عينها واحمرار في وجهها، وأخذ داروس ينطلق إلى جملها، وسأله:

«هلنا بك يا توني»؟

وتنهدت في نفاذ صبر قبل أن تقول:

«قلت إني متعبة فقط».

ورأت فترة قصيرة من الصمت، واستنار داروس ونظر إلى الباب خلفه:

«كان يفكر في شيء»، ثم قال:

«إنه لأمر مؤسف، لأنني غير متعب».

«ولكنك قلت إنك متعب، ولذلك عدنا ميكربن».

«جداً يا عزيزتي يكفي أن يتعشي معها كنت متعباً».

وفكرت توني: ليا يمكن أن تقول له بدون أن تتسلم من الممكن أن تقول إنها شاعته مع امرأة أخرى، لكن الوقت ليس مناسباً الآن. داروس ليس طيباً. ولقد ذكرت أوليفيا الآن سوف يعرف فوراً أن كلمات ماريا قد فهمتها زوجته بالكامل.

وقالت وهي تحاول أن تصنع غضبها:

«أفضل أن تلعب الآن يا داروس».

«ولكنني أتري البقاء معك».

«سوف ألتصق».

ودفعت عينها حتى بعد أن رجوت هذا التهديد العديم الجدوى.

«حسناً، لقد قلت لك من قبل إني سوف أستمتع بذلك».

وضغط بأصبعه على زر الكهرباء فأصبح الضوء خافتاً.

«إني لا أعتقد أنك سوف تقاقتيني يا توني».

وضحك وهو يتجه إليها... وهناك عند متحدر التل تزامن إلى سجع توني

صوت الضحك. وانصت وهي تدخل بيت شقيقها، وقالت: «توني رداً على

تساؤلاتي بأن عن الأطفال، إنهم هناك على التل، ألا تسمعين ضحكاتهم؟

«كنت مشغولة في داخل البيت».

«حاولت هذا البيت إلى مكان جميل جداً، كيف حالك في العمل»؟

«مراتب».

كانت بام تعقب بذلك على ساعات العمل القصيرة. وتفهم صاحب العمل

موقفها، واستطردت تقول:

«إن الخيرة ساعات العمل أننا عطلة الميلاد. إنه ربما يبدو ذلك كما لو كنت أنت

استخدام كرمه، إلا أنه كان عطلة عندما فالتصني في هذا المشروع، ألا توافقيني

يا توني»؟

«دفعلاً يا بام، إني مرعوبة جداً الآن لكل ذلك، كنت أقدر بالضيقة عندما أنظر

إلى حالك السابق، وخشيت أن تعاصي بالانهيار في نهاية الأمر».

«وابتست بام، عاد إليها جملها، وبدأت ملامح الحزن تتلاني عن وجهها.

«لقد كان صلاً شافاً. ولم تكن تتوافق لي دقيقة واحدة لنفسك، وكان الأطفال قد

اختلوا بشيرون للقي، هناك الكثير جداً يجب أن أشكر زوجك من أجله يا توني،

لديه من الفضائل لدرجة أنني...»

وسكتت عن الكلام.

«وأكملت توني».

«لدرجة أنك لا تصدقين أنه يتصرف معي بطريقة سيئة للغاية».

كان داروس قد توجه إلى أثينا بعد يومين من المناقشات الطويلة التي دارت بينه وبين توني في غربتها. ولم تكن توني قد رأت منذ أسبوعين. وقالت بام:

«إن حالاً أستطيع أن أفهمه هو أنه لو كان يريد أوليفيا، فلماذا... أقصد... لقد جعل من فسخ الزواج شيئاً مستحيلاً. إنه شيء غير معقول يا توني.»
«عادت إليه أوليفيا وهي تالعة.»
«ولكن ذلك لن يفودعا إلى شيء.»

كانت توني تنصت إلى أصوات الأطفال في الخارج، غارقة في أفكارها، إنها لا تشك أي دليل على وجود علاقة حب بين زوجها وأوليفيا، إنه مجرد علو عن خطأ ارتكبه في حقه فتاة، ولكن إذا لم يكن هناك شيء بينها فلماذا يتبدل الالتفات بها؟

وبدأت توني تفكر بصوت عالٍ،
«لو كان الاثنان يتبادلان الحب، فلماذا أن يؤدي ذلك إلى شيء ربما يطلب إليه داروس الطلاق فيما بعد عندما يتولى جنده»
«هذه الفكرة لي حد ذاتها كانت كالحجر الذي نزل إلى قلبها، كيف أصبحت توني تهتم به بهذه الدرجة...»

كانت بام تسكب لها الشاي عندما توقفت وهزت رأسها والفكرة الفكرة.
«لن يفعل ذلك معك يا توني، أعرف أنه لن يفعل، إنني متأكدة أنه عطوف جداً ولن يؤذيك.»

«من الممكن أن يكون قاسياً للغاية معي.» كما أنه لا يعرف مشاعري نحوه،
«ألا تعزمين التلميح له بذلك، مجرد تلميح.»

«بشكل تأكيد.» فكيف سيكون موافقي عندما أتوجه إلى رجل لا يعبأ بي؟ تزوجنا لأنه كان يصعب علينا أن نفعل ذلك... ولم يتوقع أحد منا أن يتبادل التعاطف مع الآخر.

كان زواجنا قائماً، زواج حتمه الضرورة، كنا غريباً، وقتها اعتزمنا أن نظل غريباً. ولكن يجب أن أعترف أن تصرفات داروس ترجع جزئياً إلى خطأ مني،
«جزئياً»

وأعز وجه توني حجباً:

«حسنًا... إنني أعمل كل الخطأ... ولكن ما أحاول إثباته هو أن الموقف من الناحية الأساسية لم يتغير.»

«وتصديق أنه لن يجعله يحلده.»

«هذا ما أعنيه بالضبط... لكني نحب يجب أن يكون بيننا شيء روحى. ونحن»
أقصد داروس لا يمكن أي مشاعر عميقة نحوي. ولن تكون لديه هذه المشاعر أبداً يا بام، إنني متأكدة تماماً من ذلك.

وصحبت المراتل فترة من الوقت وهما تنصتان إلى الأطفال يلعبون أكثر فأكثر، وكانت توني غارقة في أفكارها، كيف أصبحت تهتم بداروس إلى هذه الدرجة؟ برحل لم تبد منه أي كلمة أو عمل ينطوي على عاطفة، ناعيك عن الأمور الأكثر عمقاً.

لقد قيل لها مرتين بطريقة خفيفة... وكانت هذه الفترات تعني الكثير بالنسبة إليها لأنها كانت من الشرح الذي تحصل عليه الزوجة كتأكيد لها بأن الرغبة ليست هي البداية والنهاية في العلاقة بين الزوج والزوجة. وفي هاتين المراتين، كانت بدون أن تشعر تبني عليها عالماً من الأمل يتهاوى إلى رمال بسبب أساسه المتناهي.

«ها هم قد حضروا... هل أعددت لحم الطعام.»

قالتها توني وهي تضحك محاولة أن تتخلص من مشاعر الذكابة وما درتها لويس قائلة وهي تنظر إلى والدتها:

«دخائلي توني... إننا لم نعرف أنك هنا.»

ومدت لويس يدها لتأخذ واحدة من طين اليسكوبت.

«خلفى واحدة فقط.»

«واحدة»

«نعم واحدة، إنه لجال جيداً.»

«حسنًا... سوف أتناول شيئاً. إنني أحب الخبز اليوناني، لأنه هش ولذيذة.»

وهزت بام رأسها وهي تقول:

«كم تغير الأطفال يا توني، أعددت داروس معجزة، لويس كانت تطلب لي

هذا النوع من السيكرت منذ سبعة أشهر، ولكنني لم أكن قلقة على شرارته، ولم أكن أبداً قلقة على إسكاتها.

وقالت توني:

داروس لم يصادف مشاعب كثيرة معهم.

وابتسمت توني وهي تذكر ما الذي كانت تعتز به بوجود الأطفال معها.

أردت أن أشعره ألم اختيار صعب.

ونظرت بلم إليها في عشة شديدة، واستطردت توني:

وكان الخوف في بطني الأمر هو مساعدتك، لكنني يجب أن أعترف أنهم إذا تروا ألواناً من العذاب، وكنت أمل أن يشعروا بالاضطراب في حياتهم كلها.

فأنت: كيف تفعلين ذلك يا توني؟ أذكر أنك قلت لي مرة إنهم كلها كانوا أكثر شقاوة كلها ازداد حبك لهم، وساعتها اختلط الأمر علي، ما الذي حدث لك؟ كانت الأسرة كلها تعتقد دائماً القنينة العائقة العملية التي لا ترتكب أخطاء كبيرة.

وأحر وجه توني خجلاً وهي تقول:

ولا أرتكب أخطاء أبداً إنني لم أفعل شيئاً غير ارتكاب الأخطاء منذ اليوم الذي تقابلت فيه مع داروس، إن أكبر خطأ ارتكبته هو الانكلال من قدره ولحمته، وكان يلومني في كل مرة.

وهكذا فإنك لم تفعل شيئاً غير العراك معه.

والحسن الوضع بعد ذلك... لأنني لم أعد أتكبد عليه حياته.

ولم يكن لديك أي اختيار.

وضحكت توني:

وأعترف إنني لا أستطيع مجازاة داروس.

هولتك لك إن الأطفال لم يتعبوه كثيراً... فكيف استطاع أن يولف شقاوتهم، وتعذيبهم له كما سميتها؟

لا ضرب أحد الأطفال بعنف في الدقائق الأولى... لكنه بعد ذلك كانت كلمته كافية لاسكاتها... كنت أسهر على رعاية لويس أثناء مرضها كما تعرفين...

وفي هذه الأثناء تغير الصبيان تماماً وأصبحوا بطيحاته.

وتنهلت بلم وهي تقول:

«إنه يحب الأطفال... هذا هو كل ما في الأمر، وطالما ظلت الأمور على ما هي فلا يكون لديك أطفال أبداً.

ولا أتوقع من داروس أن يزيد من تعقيد ظروف زواجنا إذا كان يريد أن يحصل على حريته، هل تعلمين يا بلم أنني أشعر بقوة أنه يريد حريته، رغم اقتناعك بالعكس.

وهزت بلم رأسها وهي تؤكد:

«لن يفعل شيئاً بخلاً بالشرف».

وما سيفعله لن يكون بخلاً بالشرف، لأننا لم نعتزم أبداً الاستمرار في الزواج.

والأمر سيكون بخلاً بالشرف طالما أنكما متزوجان الآن.

وأوضحت بلم قائلة:

«وفي أي حال عليه أن يجد مبرراً للطلاق... وهو لا يجد هذا المبرر».

وقالت توني لنفسها «إنها القسوة العقلية، ولكنها استبعدت هذه الفكرة...

إنها لا تتصور أبداً أن يقدم داروس لاتيير مثل هذا المرور للطلاق».

وفي هذه الأثناء جلس الأطفال حول المائدة لتناول طعامهم، وأخذت توني

ولويس تسعدان بلم على إعداد الساندوتشات.

وقال ديليد لحالته:

«ستذهب بعد ظهر اليوم إلى الأكروبوليس على ظهر الحمار، ريثب والذي لحه

الرجلة، إنها تكلف خمسة عشر دراخماً، ولكننا أغنياه الآن، فالأمر لا يهم، فلماذا لا

تأتين معنا يا خالتي، إنها رحلة لطيفة على ظهر الحمار».

وهزضت، نعم إننا أغنياه، ومن الأفضل ألا نفر على أنفسنا، وإنني لأكره أن

أرفض طلبات الأطفال، كان كل منهم يحصل على ست بنسات أسبوعياً، لكنها

لم تكن تكفيهم، كانوا يتطلعون دائماً إلى عداياك يا توني».

وقالت لويس وهي تثبتهم ساندوتشها الأول:

«ولكن علينا أن نذكر الآن، الصم داروس يعطينا بعض النقود لتنفقها،

والبعض الآخر لتدخريه، اعتاد أن يعطينا هذه النقود كل يوم، أما الآن فإنه يوفرها

لنا كل يوم سبت، أحب أيام السبت... حان وقت ذهابنا... هل ستأتين معنا يا خالدة

توني في رحلتنا على ظهر الحمار»

وقالت بام:

«تعال يا توني، داروس لن يعود إلى البيت اليوم».

«لن يعود قبل المساء... نسلط رسالة من جوليا، داروس سيأتي مع والدته وجوليا لفترة من الوقت، ويقول إنه سيكون على الطائرة التي تصل إلى هنا في السادسة والنصف مساءً. سيارته في المطار، ولذلك سيعود مع وقت العشاء».

وسألها روبي:

«لن نحضري معنا يا خالتي! ليس هناك أدلى كثير من يركبون العمود في الوقت الحاضر لأن السواح عادوا إلى بلادهم تقريباً».

«حسنًا، سأجيء معكم».

وقالت لوبيس:

«أمل ألا أسقط عن ظهر الممار، الطريق متعذر جداً».

كان الطريق متعزراً وضيقاً فعلاً لفترة من الوقت، وشق الجميع طريقهم عبر التوارع غير المرصوفة القديمة حتى وصلوا إلى قمة الأرض غير المستوية، وكان عليهم أن يقطعوا ما تبقى من الطريق على أقدامهم.

«إنه منظر بديع».

وقالت توني وبام إلى جانب السور ونظرتا إلى أسفل حيث المدينة البيضاء الصغيرة المعلقة على سفح التل، وهناك بعيداً كانت الدائرة التي تشغل ميناء القديس بولس، وكانت محاطة بالأسوار فيها عدا فتحة صغيرة تسمح بمرور زوارق الصيد، أما الشاطئ، الرمال التي تحف به الأشياء فكان يبدو ناعياً ومهجوراً. وإلى اليمين كان منزل داروس يبدو خائفاً وحطاباً.

ونظرت بام إلى السماء وقالت:

«أعتقد أنها ستظهر، السحب تتجمع، وساء المكان لون داكن».

وقالت توني:

«زعمنا من الأفضل أن تسرع، الجو يكثر بعاصفة».

ومع ذلك لم تقطر السماء، وظل الطقس دافئاً، وكانت هناك كتبة بينظية صغيرة جميلة بنيت في القرن الثالث عشر ما زالت تحمل طوق أسوارها أجزاء من اللوحات التي كانت تزينها منذ سبعة قرون وتصل.

وجاءهم «يقيد» ليلتهم أنه سوف يصعد السلم الخشبي».

«لن نضل الطريق».

وضحكت توني وهي تقول:

«إنهم يستمتعون بوقتهم... ياها من طاقة».

وكان الرواق الرابع لعبد أثينا ليندا هو الساعة التالية للعب الأطفال... كانوا يهرون من هنا وهناك حتى تطلعت أنفاسهم. بينما ذهبت توني وبام للطلع إلى برويلي وهو المدخل الجميل للمعبد... ثم دخلتا إلى المعبد نفسه أو بلايا».

«تصوري يا بام أن عمر هذا المعبد ألفا سنة».

وقالت بام:

«المعبد الأصلي بني قبل ذلك بكثير، ألم يكونوا مهرة وفنانين».

وظلت بام وتوني تتجولان ساعة أخرى ثم نالت بام أطفالاً فحضرنا ثراً.

وسأل روبي:

«هل ستصرف الآن؟ إنني أرغب في البقاء بعض الوقت».

«ستحضر مرة أخرى».

«هل ظهر الميمرا».

«إنكم صغار ويجب أن نقشوا على الأقدام».

«حسنًا... سوف نلبي في المرة المقبلة».

وبعدما أمضت توني فترة في بيت شقيقها لمساعدتها على إعداد العشاء، اتجهت عائدة إلى بيتها. وشعرت فجأة أنها ضائعة وحيدة نظراً لعلاقتها غير السوية مع داروس. خذبتها فكرة التزامه الطلاق منها ليعيش حياته مع أولمبيا، إن البروتانيين يكرهون الطلاق... ولكن داروس ليس يونانيًا. ومع ذلك كانت توني تحس أنه لن يكون سعيداً جداً بفكرة الانفصال عنها بالرغم أنه قد يلجأ إليها في نهاية الأمر.

وسألت توني نفسها:

«ولكن إذا بقينا متزوجين... فأني نوع من الحياة ستكون حياتنا معاً؟ لن يحدث

أي تغيير داروس سوف يعاملها بكل أدب وذوق ولكن بغير عاطفة، وربما يعتبرها أكثر أهمية إلى حد ما من الأشياء الأخرى التي يمتلكها، هذه هي طريقة الحياة في اليونان يعيش الرجال في عائلهم، وتعتبر النساء في مرتبة أدنى.

كانت توني ترتدي ملابسها وتنزين عندما رن الهاتف... داروس لن يحضر لتناول العشاء... ونظرت توني إلى نفسها في المرآة وبدت عليها علامات خيبة الأمل الشديدة، وأدركت توني أنه رغم أفكارها المحزنة التي راودتها من قبل كانت متلهفة لعودة زوجها وظل بعيداً عنها أسبوعين، من يلري لعله انتقدها، يا لها من غيبة... إنه في رودوس ولم يكلف نفسه مشقة العودة لتناول العشاء معها. وأحست توني أن مشاعر الغضب حلت في نفسها محل الاستياء، وبعد لحظة من التردد اتصلت هاتفياً تشاريوس، إنه موجود دائماً إذا احتاجته، ألم يقل لها.

«سأبقى دائماً صديقاً لك... إنه حب أفلاطوني... ولكن تذكرني أنني هناك»
وقبل تشاريوس دعوتها وتناول العشاء معاً على ضوء الشموع، كانت توني قد ارتدت ملابسها وزينت بكل عناية، وبدت جذابة في فستانها الأخضر الذي كان منسجماً مع لون عينيها.

وظل تشاريوس يغازلها... وكانت تقول له:

«إن اليونانيين جميعاً يحبون الغزل، ولكن ذلك لا يعني شيئاً. وعندما سمع تشاريوس هذه الكلمات ارتست ابتسامة غريبة على شفتيه وهو يقول:
«الأمر يتوقف يا توني على من يكون الشخص الذي يغازلك! لو كان زوجك هو الذي يغازلك لكنت طلبت المزيد منه».

«أنت على حق».

ومضى قائلاً:

«ليس من الصعب عليّ يا توني أن أفهم ما بداخلك، الفتيات الانكليزيات محقاوات، إنهن يقعن في الحب بدون تحفظ ويجهن أنفسهن عاجزات فيما بعد عن التماسك مرة أخرى. لو كنت أحببتني بهذه الدرجة لكنت أحسست أنني أسعد رجل على الأرض».

ولم تعقب توني بكلمة واحدة... فلستظرد هو قائلاً:

«فلماذا لم يعد داروس إلى البيت؟ هل يمضي وقته الآن مع المرأة الأخرى؟»
وانحشر الطعام في حلق توني، وعجزت عن ابتلاعه، ثم قالت في صعوبة:
«هذا هو ما استنتجته يا تشاريوس، ليس هناك سبب آخر يحصله على البقايا في المدينة».

«متى سيغود»

«لم يقل شيئاً، طلب فقط عدم إعداد العشاء له».

«ولماذا استنتجت أنه يتناول العشاء في الخارج؟»

«لا أعتقد أنه سيبقى بدون عشاء، إنه معها يا تشاريوس، أنا أعرف ذلك».

ولم يعقب تشاريوس بشيء، وأحست توني أن هذا الموقف المرجح قد يهايقه، ولجأت عن هذا الموضوع تاركة تعاسها محاولة أن تبدو أكثر بهجة.

وتناول الاثنان القهوة في قاعة البيت، ثم ذهب تشاريوس. وبهجته أن انطلق بسيارته، سمعت توني صوت سيارة أخرى تقترب من المنزل، ونظرت إلى ساعتها، إن داروس لم يمتك طويلاً مع أوليفيا.

وقطع زوجها عليها تأملاتها وهو يسأل:

«من الذي كان يقود سيارته؟»

وأحست توني بهزبات قلبها تدق بسرعة وقالت:

«إنه تشاريوس... دعوته إلى العشاء... وأنت عدت مبكراً عما كنت أتوقع».

وتقدم داروس بخطى بطيئة داخل الغرفة، وقد اعتلت وجهه علامات التهديد:

«طلبت منك عدم مقابلته».

وبدا الغضب والتهديد واضحين في نبرات صوته وردت توني وهي ترفع رأسها:

«سوف أمتنع عن مقابلته عندما تتوقف أنت الإلتقاء بتلك المرأة...»

«وأمرأة»

«هرايتك معها في رودوس... كما أن تشاريوس رأيك معاً... وهكذا فإن ما تستطيع أن تفعله أندر أنا أيضاً على فعله... سأخرج مع تشاريوس وستطيع أن تعتاد على ذلك»

لم تكن توني تعنى ما تقول حقاً، ولكن رغبتها في الرد عليه كانت أقوى من الألم الذي أحست به، واستطردت تقول:
«إنك دكتاتور متعطر، ولكنني لا أخافك، سأفعل ما أشاء من الآن فصاعداً...»
والقرب منها وأمسك بذراعيها وهو يقول في عنف:
«ستفعلين ما أطلبه منك، وإني أقول لك مرة واحدة فقط يجب ألا تقابلي هذا الرجل مرة أخرى، وإذا أهملت هذه النصيحة سوف...»
«نصيحة»

«إنه أمر لك، وإذا أهملت، سوف تتدعين كثيراً»
«العنف مرة أخرى»

قالتها وهي تحدق في عينيه، ثم أهملت وهي تتخلص من قبضته:
«لا أعبأ بتهديداتك»

«إنك تسعين ورا» العنف، أعرف كيف أهملك في مكانك المناسب مرة واحدة وإلى الأبد»

«في مكان المرأة اليونانية»

وسكتت توني، ونظرت إليه في خوف، انتظاراً لرد فعله العنيف... إلا أنه قال في هدوء:

«تصورت أنك تفهمين اليونانية، ومعنى هذا أنك سمعت كل كلمة قلتها في منزل جدي...»

«لو كنت أفهم اليونانية... فلماذا أتيت استمعت إلى ما قلت...»

«ولم أكن متأكداً من درجة فهمك لليونانية...»

وشعرت توني بشيء من الراحه... صحيح أن دقائق قلبها ما زالت تتسارع... وأن غضبها يؤثر على نضجته، إلا أنها بدأت تهدأ تدريجياً.
واستطرد داروس قائلاً:

«من الواضح أنك فهمت، ما دار بيني وبين ابنيانيا. لقد زل لسائك مرة أو مرتين، ولو أتيت لم أدرك أنك تفهمين اليونانية لكنت غيباً حقاً، ولكنني أسف لأنك سمعت كل ملأاري»

«لم يكن ذلك صحيحاً، إن بام ترى أنك لا تقصد أي شيء من ذلك»

«هل أهملت بام؟ هل تعرف كل شيء؟»

«كانت بام معي عندما رأيتكما في رودوس»

ومضت عينا توني، واغتالقت من شعقها، ومضت تقول:

«وكأن علي أن أقول لها كل شيء»

ولقدت مشاعر غضبه، ولكن كان واضحاً أنه شعر بالضيق بعدما أدرك أن

بام تعرف أنه زوج غير مخلص.

وتسأل داروس:

«هل تعتقد بام أنني أحب امرأة أخرى؟»

«موأنا أيضاً... كتبنا مخطوبين... والآن وجدت أنك تحبها مرة أخرى»

وسكتت لحظة ثم قال:

«أنا... لماذا تبهكين يا توني؟»

وفجأة اقترب منها داروس وتحدث إليها في نبرات هادئة تنسم بالموودة

والعطف والرفقة:

«هل تشعرين بالغيرة من أوليفيا؟ ليس هناك مبرر لذلك يا توني... إلا إذا كنت

تحبيني»

ونظرت إليه، وقالت في غضب:

«كلا... لا أحبك... كيف أحب رجلاً...»

ولم تستطع توني أن تنسم كلماتها، لأنه كان يضحك، ولكن بدون أن يسخر

منها أو يحتقرها هذه المرة.

«كيف تحبين دكتاتوراً متعطراً؟ هل هذا ما كنت تنوين قوله؟ لست دكتاتورة يا

عزيزتي، ولكنك كنت تنوين لي اللعاب...»

ولفكرت توني ملياً، ما الذي يقوله داروس؟ وما هذه النبرات الهادئة الحلوة

التي لا يشوبها شيء؟

«داروس، هل تهتم بي؟»

«اهتم»

وقبل أن تعرف إجابته، كانت بين فراغيه.

«إني أحبك»

وأبعدها عنه في رفق وهو يقول:
«أتسائل يا عزيزتي، هل كان التغيير الذي طرأ عليك نتيجة... للترويض... إنها
الكلمة التي استخدمتها من قبل...»
قالت ذلك في استسلام ومع ذلك لم يجل صوتها من نبرة تحد.
«هل هذا ما أحدث التغيير لك... أو أنه لم يحدث تغيير على الإطلاق! قلت إنه لم
يحدث تغيير... إذا تذكرت...»
كلام.

وخفت رأسها واستطردت بصوت خفيض، بعدما صعب عليها أن تعترف
أمامه:
«لم يكن هناك تغيير أساسي... فعلت كل شيء لأنني حاولت أن أرد لك الكلمات
غير المناسبة التي قلتها عن القناعات المتكلميات...»
كان داروس يلتقط أنفاسه بين حين وآخر كلها استمرت في اعتراضاتها...
وأخيراً قالت له أين ذهبت أموال النسوية... ولم يجد داروس مبرراً لتكتمها
الأمر رغم أنه أسطر مراراً عن ذلك...
وردت توني قائلة:

«اعتقدت أن اعترافي لك لن يضيف شيئاً لأنك لم تكن تحبني، وأخيراً عندما
بدأت تخرج مع أوليفيا...»
وقاطعها قائلاً:

«لم يحدث أن خرجت معها حقاً إلا في هاتين المراتين...»
وبدأ يوضح علاقته بأوليفيا:

«عطينها منذ فترة، ربي ثقة كاملة اعطيتها مبلغاً من المال عندما طلبت ذلك
بعبء معاونة شقيقتها على الخروج من ضائقة مالية، لكنها كانت تحتسب أموال
صاحب العمل، وكان يهددها بإبلاغ الشرطة ما لم تعد الأموال فوراً... وأعطينها
النقد... ولم أفكر في استردادها... ولكن الأمر كان خدعة من أوله إلى
آخره... أوليفيا لم تكن تحبني... كانت جشعة للمال... وكان كل ههما هو
استغلال أي رجل غني...»
وصمت فترة لم قل:

«كنت أعترم معاً لقبها لو أنني تمكنت منها في ذلك الوقت، لكنها اختفت تماماً،
واكتشفت بعد ذلك أنها تحبني، واتصلت بي مرات عديدة طالبة الصفع عنها،
وقررت أن أخادعها أنا الآخر حتى أسرد أموال، وأعطيني إيماها في لثاثة الثاني
اعتقاداً منها أنني سوف أطلقك بعد وفاة جدي لأزوجهها.
وسأت توني:

«هل قلت لها إنك سوف تفعل ذلك؟»

وهز رأسه بالنفي:

«كانت تعبر الأمر متنبهاً... سمعت إشاعة تقول إن زواجنا كان ضرورية بسبب
اعتزام جدي قتلك، وبالتالي اعتقدت أنه من المسلم به أننا لا نتبادل الحب، كانت
تعتقد أيضاً أنه بعد عودتها إلى سافصح عنها فوراً.
وسكت داروس واقتراب من زوجته يعانقها:

«إن ما لم تعرفه أبداً هو أنني أحبك جداً، رغم أنك كنت تحاولين إقناعي بأنك
أخذت المال لكي تحتزني.»

«كنت أعترم مصارحتك بكل شيء، عنه، لكنني كنت أعتقد أنه لا فائدة من ذلك،
كنت أشعر أنك تكرهني، وأنتي استحق كل أفكارك السيئة عني.»

«وعلاً... اعتقدت بإخلاص أنني سأضطر إلى استخدام العنق معك في النهاية،
لقد أقلت من يدي عدة مرات...»

«وفي هذه الليلة ألم تكن مع أوليفيا؟»

«كلا يا عزيزتي، السبب في تأخري هو عطل في سيارتي، وكان علي أن أصلحها،
ولما كنت لا أعرف كم من الوقت سيمر قبل إصلاحها، اتصلت بك ألا تعني
العشاء، كنت أعترم إيضاح الأمر لك... ولكن الاتصال انقطع فجأة.»

وسأله:

«وعلى فكرة! لماذا دعوت هذا الشخص تشاريتوس لتناول العشاء؟»

«لأنني اعتقدت أنك مع أوليفيا.»

«هل هذا انتقام؟»

«وسكنت توني... واستمر هو قائلاً:

«إنك خبيثة يا توني... ولا أعرف لماذا... ولكنني أحبك...»

وسأنته في لحظة عتاب: «ولماذا لم تقل لي ذلك من قبل؟»
«لأنني كنت لا أزال أعتقد أنك تحتزين تلك الأموال... وإذا كان هناك شيء
أعقته حقاً فهو الحسنة والوضاعة، كنت أشعر في بعض الأحيان أنه لابد من تفسير
لذلك، وقد توقعت مرة أنك سوف تفاهيئني في الوقت المناسب، ولكذك لم
تفعلي».

ثم همس في أذنها في رقة ومودة:
«إنني أحبك يا عزيزتي».
واقتربت منه وقالت في همس:
«وأنا أحبك».

www.italias.com/vb3
شبكة ليلاس
رياحين الثقافية

